قال سبحانه وتعالى:

«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»

يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :

«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 08 ـ فاتح صفر 1427 هـ الموافق لـ 01 مارس 2006م ـ الثمن 5 دراهم

توزيع الأدوار بين المستعمر والعلماني

لا يماري إنسان عاقل في حقيقة كون المسار الذي يسلكه العالم اليوم يتجه نحو النزعة الكونية التي تجسدها العولمة بكل تجلياتها: الثقافية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية، والتي تفرض على كل المجتمعات ذات الهويات الثابتة، أن تتخلى عن هوياتها وتتبنى القيم الكونية بدل قيمها ودينها وأعرافها، فهي مجبرة حتى تنخرط في هذا التطور الهائل، أن تنصاع إلى ما تمليه منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي وباقي المنظمات التابعة للأمم المتحدة، والتي ترمي إلى إعادة هيكلة دول العالم عامة والدول الإسلامية خاصة على المستوى الإجتماعي والثقافي والديني بوصف هذه المجتمعات أكبر سوق للاستهلاك دون الإنتاج، وذلك حتى لا تعرقل هذه الأولى النمو الاقتصادي الإقليمي والدولي فينعكس ذلك على "اقتصادات" الدول الكبرى.

تتمة صفحة: 5

. ملف العدد .

الذَّبُّ عن عرض الرسول

صلى الله عليه وسلم

تقرؤون في هذا الملف:

- منزلة الرسل في الإســـــلام.
- أيها المسلم اعرف قـدر نبــيـــك.
- محبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- إلى دعاة تقارب الأديان وحوار الحضارات
- أي الفريـقـين أحق بالإرهـاب؟
- حب النساء للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهن لقدره الشريـف.
- إنا كفينـاك المستهزئين.
- إعلام النبلاء بقول السادة المالكية الفقهاء في حكم شاتم الأنبيـاء.

صفحة: 12-19

ـ كيف نقاوم التنصير داخل مجتمعنا؟

ـ الليبرالية..وتأليه الهوى

صفحة: 24

لماذا لا يجوز للمسلم الاحتفال بعيد الحب؟!

صفحة: 3

كيف تحولت الداروينية من نظرية علمية إلى أيدلوجية؟

صفحة: 10

مصابيح السبيل

- المختصر في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- في رحاب الدعوة
- التحذيـر من اتباع الهـوى

الصفحة: 8 - 9

مفاهيم يجب أن تصحح

- مفهـوم العقيدة
- ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

الصفحة: 11

رياض النساء

- نسـاؤنـا والـعـلـمـانـيـة
- الحجاب تشريع رباني

الصفحة: 6 -7

حـاجـة الأمـة إلى العـالـم الـربـانـي

-الحلقة الثانية-

الصفحة: 26

قـــراءة في كتـــاب

"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض رحمه الله

الصفحة: 27

العدد 08 ـ فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

"كلمة العدد"

إن أشرس حرب يعرفها العالم اليوم هي حرب المصطلحات والمفاهيم، فمنذ أن طأطأت حضارة المسلمين رأسها لحضارة الغرب النصراني والغارات الثقافية لم تتوقف، فلا يعجب المرء إذا ما أطل على كتب التاريخ ووجد أن الدول الاستعمارية الكبرى عند غزوها وتربصها بالخلافة الإسلامية، كانت تفرض على الدولة العثمانية تغيير بعض القوانين التي تكرس المفاهيم الإسلامية خصوصا تلك التي تهم تنظيم العلاقة بين المسلم وغيره من اليهود والنصارى والوثنيين، فكانت فرنسا وانجلترا وروسيا مثلا تلزم في اتفاقياتها مع المسلمين أن يعامل السلطان رعاياه بالاستناد إلى مفهوم المواطنة وليس إلى نصوص الشريعة الإسلامية، وأن يحظى رعايا تلك الدول بامتيازات حتى يضمنوا نشر ثقافتهم في المجتمعات الإسلامية.

وشيئا فشيئا، بدأت المفاهيم العلمانية تأخذ مكانها في ثقافة المسلمين، طاردة المفاهيم الإسلامية من مجال الممارسة السياسية والإدارية، ثم بعد ذلك على مستوى الثقافة والقناعات والقيم، فكان ذلك أحيانا بفعل القوة والسلاح، وأحيانا عديدة باسم التقدم والنمو ومحاكاة الغرب المنتصر، فاستمرت القيم والمفاهيم الإسلامية منذ ذلك الحين تتآكل ويتقلص ظلها إلى أن أصبح اليوم من يتكلم في القيم العلمانية المتفسخة والمنحلة، رجعيا وماضويا ومتطرفا وأخيرا إرهابيا.

ولعل أكثر هذه المفاهيم العلمانية انتشارا بين المسلمين، مفهوم الحرية بأنواعها، وعلى وجه التحديد حرية التعبير، فصار كل من هب ودب يُنظّر ويؤصل في كل شيء، فعمت الفوضى حتى أصبحنا نرى من يتهجم على الله سبحانه وتعالى، ومن يحتقر الإسلام الحنيف، ومن يسب نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، باسم حرية التعبير.

وما دمنا منهزمين في الحرب الغربية على المفاهيم الإسلامية، فلا يجرؤ لا الساسة ولا المثقفون على انتقادها أو الحد من انتشارها أو تعديلها وفق ما يستلزمه انتماؤنا الإسلامي أو حتى العربي.

إن الساسة لا يستطيعون محاربة المفاهيم الغربية، رغم النتائج السياسية والاجتماعية والعقدية الوخيمة، التي ترتبت عن انتشارها لكونهم قد انخرطوا في مسلسلات الحداثة الغربية التي فُرضت بالاستعمار والنار في الماضي القريب، وبقوة الهبات والقروض المشروطة في الوقت الحاضر.

وأما المثقفون فلا يستطيعون انتقادها لئلا ينعتهم الغرب -الذي يستلهمون منه كل تخيلاتهم الثقافية- بالرجعية والماضوية والنكوص وعدم القدرة على التخلص من سلطة القديم التي كانت سببا في التخلف حسب زعمهم.

إن حرية التعبير بمفهومها غير المنضبط بحدود، والذي يبيح لأيٍّ كان أن يتكلم بما شاء فيما شاء دون أي رقابة، إنما هي حرية الفوضى والدمار، قصد من خلالها منظروها يوم أوجدوها هدم المقدس الذي كانت تحميه الكنيسة ورجال الدين فأرادوا أن يصبح المقدس والمدنس شيئا واحدا، فثاروا على الكنيسة وجمودها وعدائها للعلم، فلما تزامنت هذه الثورة مع التقدم العلمي والتكنولوجي جعله منظرو الثورة من ثمراتها، وأقنعوا الشعوب التي استعمروها فيما بعد بتلازم التقدم مع الثورة على الدين.

وشاء الله تعالى أن تكون الشعوب الإسلامية بعد أن انفرط عقد الخلافة التي كان يوحدها أكثر الدول التي عرفت صراعا فكريا وعقديا فانتشرت أفكار الثورة الغربية في أذهان المسلمين مؤيدة بالنضالات التي قام بها النصارى العرب الحاقدين على الإسلام والمدعومين من طرف الدول الاستعمارية، فأصبح القادة إما اشتراكيين أو تقدميين أو شيوعيين أو بعثيين، واقتنعوا بضرورة الثورة على القديم بكل أشكاله عرفا كان أم دينا، ومُكّن لهؤلاء على رؤوس البلدان الإسلامية فصار للأمة مفكرون حداثيون وشعراء حداثيون وساسة حداثيون لا يؤمنون إلا بالحرية وبالحرية فقط، فأزاحوا قادة المسلمين السادة العلماء من دفة القيادة، وأقالوا الشريعة الإسلامية من الحكم، وأحلوا مكانها قوانين علمانية غربية، فاستبدل الناس باستقرار العقيدة والشريعة اضطراب المناهج الفلسفية وقصور القوانين الوضعية، فصار المسلمون يعيشون الوهم والتيه، والحقيقة التي يعترف بها الجميع بعد قرابة قرن من الزمن هي: سيادة التخلف والفقر والأمية والرشوة والدعارة والقتل.....والفساد.

فأين التقدم الذي وعد به العلمانيون الأمة الإسلامية؟ وأين الازدهار والنعيم المكذوب الذي أغروا به الشباب المسلم؟

وحقيقة الأمر أن التقدم والازدهار إنما كان إيديولوجيا يروّج لها العلمانيون حتى ينقضّوا على الحكم ويستأثروا به دون غيرهم، فمتى يستفيق المسلمون ويعلموا أن أمرهم لن يستقيم إلا بإعادة النظر في واقعهم والرجوع إلى سالف أمرهم، والتشبث بما كان سبب وحدة أسلافهم و سر عزهم و قوتهم، وما أبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حثه أحد قادة الإسلام الأوائل بالاعتناء بشيء من المظاهر الجوفاء التي توحي بالعز والمنعة فقال له موبخا: "نحن قوم كنا في جاهلية فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

و نحن حين نقول بالرجوع إلى الكتاب و السنة بفهم سلف الأمة، لا نقول بترك التكنولوجيا من سيارة و طيارة كما يروج لذلك العلمانيون، وإنما نفرق بين الاستفادة من الحضارة التي هي ملك لكل الناس وبين تغيير ثقافتنا وديننا.

فلا يلزم كي يسوق الرجل سيارة أن يحلق لحيته ويشرب الدخان.

ولا يلزم كي تعمل المرأة مدرسة أو طبيبة أن تنزع الحجاب وتلبس القصير من الثياب.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

السبيل



إذا أردنا الحديث عن "..الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم: فالقرآن مملوء به، فرأس الأدب معه: كمالُ التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا أو يحمله شبهة أو شكا، أو يقدّم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المُرْسِل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يُحَاكِم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة، أعرض عن أمره وخبره وفوّضه إليهم، وإلا حرّفه عن مواضعه وسمى تحريفه: تأويلا وحملا، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله، خير له من أن يلقاه بهذه الحال، ولقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء فقلت له: سألتك بالله لو قدِّر أن الرسول حيٌّ بين أظهرنا، وقد واجهنا بكلامه وبخطابه: أكان فرضا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه؟ أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس وعقولهم فقال: بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه فقلت: فما الذي نسخ هذا الفرض عنَّا وبأي شيء نسخ فوضع إصبعه على فيه وبقي باهتا متحيرا وما نطق بكلمة....

الأدب مع النبي عليه الصلاة والسلام

ومن الأدب مع الرسول: أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}** الحجرات، وهذا باق إلى يوم القيامة ولم يُنسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم، قال مجاهد رحمه الله: لا تفتاتوا على رسول الله، وقال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه وقال غيره: لا تأمروا حتى يأمر، ولا تنهوا حتى ينهى، ومن الأدب معه: أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به، أترى ذلك موجبا لقبول الأعمال؟ ورفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوطها.. ومن الأدب معه: أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد منهم مذهبا في حاجته حتى يستأذنه، كما قال تعالى **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ}** النور، فإذا كان هذا مذهباً مقيدا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه دقيقه وجليله؟ هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

ومن الأدب معه: أن لا يستشكل قوله، بل تستشكل الاراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا، نعم، هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد، فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجرأة..".

إن الأدب معه صلى الله عليه وسلم شريعة يثاب فاعلها ويعاقب تاركها، فالأدب مع شخصه الكريم بإجلاله وإعزازه وتوقيره وتقديره واحترامه وإنزاله المنزلة التي أنزله الله إياها، بلا غلوّ ولا جفاء، وعدم الاعتراض عليه صلى الله عليه وسلم أو مناقضة أقواله بأقوال غيره من الناس، أو تقديم قول كائن من البشر مهما علا كعبه، أو أخذ حديثه على أنه كلام يصيب ويخطئ، بل هو كلام نبيّ معصوم، أو التعرّض لصفة من صفاته بجفاء، أو رد قوله بعد التأكد من صحة نسبته إليه، أو الشك في بعض قضاياه وأحكامه، أو مقارنته بالقادة والزعماء والملوك، فقد رفع الله قدره على الجميع وأعلى منزلته على الكل.

بل يحرم كل ما فُهم منه الجفاء والتنقُّص والاعتراض عليه صلى الله عليه وسلم، والواجب على كل من رضي به رسولا واتبعه وآمن به حبه حبا صادقا أعظم من حب النفس والولد والوالد والناس أجمعين، وتصديق ما أخبر به، وامتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، والاهتداء بهداه والإقتداء بسنته والرضى بحكمه والحرص على متابعته، وتوقير حديثه والصلاة والسلام عليه إذا ذكر صلى الله عليه وسلم، وعدم رفع الصوت عند ذكره وذكر حديثه، وعدم الضحك وقت تلاوة أخباره وكلامه وآثاره، والخشوع عند ذكر شيء من سنته، والتأدب عند الاستشهاد بقوله، والتسليم عند أمره ونهيه، والإيمان بمعجزاته والذب عن جنابه الشريف وأهل بيته وأصحابه **{فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** الأعراف.

قحطان عدنان شادوا منك عزّتهم
بك التشرّف للتأريخ لا بهم
أكاد أقتلع الآهات من حرقي
إذا ذكرتك أو أرتاع من ندمي

الشيخ ابن باز رحمه الله وكروية الأرض

كثيرا ما يطعن العلمانيون في علماء الإسلام، وذلك قصد تزهيد الناس فيهم، وإظهارهم بصورة المتخلف البعيد عن الواقع، المعادي للعلم الحديث وما وصل إليه من كشوفات، وذلك حتى تنطبق على علمائنا الموقرين صورة رجال الدين النصرانيين الذين استوجبت مواقفهم من العلم ثورة المتنورين بنار الإلحاد ممن ثاروا على الكنائس، وتبنوا العلمانية دينا جديدا، وهذا بالضبط منهج جريدة الأحداث المغربية، إذ ما تفتأ تتهجم على علماء المسلمين وتتهكم على فتاويهم الشرعية مظهرة إياهم لقرائها مظهر البعيد عن هموم واقعه، واصفة إياهم برجال الدين الذين يسوّغون أعمال الحكام من خلال اجتهاداتهم الفقهية، كما أن هذه الجريدة كثيرا ما تجترُّ كعادتها الكذب والبهتان الذي يرمي به العلمانيون المصريون وغيرهم الشيخ عبد العزيز بن باز وذلك إخلاصا منها لمخطط قطع الصلات بين المسلمين وعلمائهم.

ومن هذا الكذب ما نشرته عن اعتقاد الشيخ أن الأرض منبسطة وليست كروية، فهذا قوله في فتاواه، ودع عنك قول العلمانيين الكذابين.

قال الشيخ عاصم القريوتي:

يثبت الشيخ -أي: ابن باز- رحمه الله ويقرر كروية الأرض، كغيره من علماء الإسلام، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على ذلك في عدة كتب منها "العرشية" و"درء تعارض النقل والعقل" (339/6)، وانظر رسالة في الهلال" من "مجموع الفتاوى"(195/25)، ونقل الإجماع ابن كثير في "البداية والنهاية" كما في "آفاق الهداية" (173/1).

ومن العجب أنه افتري على الشيخ ابن باز -رحمه الله- في حياته بأنه ينكر كروية الأرض.

والشيخ موافق لعلماء الإسلام في هذه المسألة.

ولقد سألته عام 1395هـ تقريباً أو 1394هـ عن هذه المسألة وأن له كتاباً زعموا أنه له باسم "الباز المنقض على من قال بكروية الأرض": فعجب من ذلك، وسخر من هذا الافتراء. "كوكبة من أئمة الهدى ومصابيح الدجى" (ص 167).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

"..أما ما نشرته عني مجلة "السياسة" نقلاً عن البيان الذي كتبه كتاب وأدباء التجمع التقدمي في مصر من: إنكاري هبوط الإنسان على سطح القمر وتكفير من قال بذلك! أو قال إن الأرض كروية، أو تدور: فهو كذب بحت !! لا أساس له من الصحة، وقد يكون الناقل لم يتعمد الكذب ولكن لم يتثبت في النقل".

لماذا لا يجوز للمسلم الاحتفال بعيد الحب؟!
عيد الحب قصته، حكمه

في السنوات الأخيرة انتشرت ظاهرة بين كثير من شباب المسلمين -ذكورا وإناثا- لا تبشر بخير، تمثلت في تقليدهم للنصارى في الإحتفال بعيد الحب، مما كان داعيا لأولي العلم والدعوة أن يبينوا شريعة الله تعالى في ذلك، نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم حتى يكون المسلم على بينة من أمره، ولئلا يقع فيما يخل بعقيدته التي أنعم الله بها عليه.

وهذا عرض مختصر لأصل هذا العيد ونشأته والمقصود منه، وما يجب على المسلم تجاهه.

قصة عيد الحب

يعتبر عيد الحب من أعياد الرومان الوثنيين، إذ كانت الوثنية سائدة عند الرومان قبل ما يزيد على سبعة عشر قرنا، وهو تعبير في المفهوم الوثني الروماني عن الحب الإلهي.

ولهذا العيد الوثني أساطير استمرت عند الرومان، وعند ورثتهم من النصارى، ومن أشهر هذه الأساطير:

الأسطورة القائلة أن الرومان كانوا أيام وثنيتهم يحتفلون بعيد وثني يدعى عيد (لوبركيليا)، وكانوا يقدمون فيه القرابين لمعبوداتهم من دون الله تعالى، ويعتقدون أن هذه الأوثان تحميهم من السوء، وتحمي مراعيهم من الذئاب.

فلما دخل الرومان في النصرانية بعد ظهورها، وحكم الرومان الإمبراطور الروماني (كلوديوس الثاني) في القرن الثالث الميلادي منع جنوده من الزواج لأن الزواج يشغلهم عن الحروب التي كان يخوضها، فتصدى لهذا القرار (القديس فالنتين) وصار يجري عقود الزواج للجند سرا، فعلم الإمبراطور بذلك فزجَّ به في السجن، وحكم عليه بالإعدام.

فانتقل بذلك الإحتفال بعيد الحب السابق ذكره من مفهومه الوثني (الحب الإلهي) إلى مفهوم آخر يُعبّرُ عنه بشهداء الحب ممثلاً في (القديس فالنتين) الداّعية إلى الحب والسلام الذي استشهد في زعمهم في سبيل ذلك الحب، ويسمى أيضًا (عيد العشاق)، و شفيعهم وراعيهم (القديس فالنتين).

من نظر بعين الإنصاف في هذا العيد الوثني يتضح له ما يلي:

أولا: أن أصله عقيدة وثنية عند الرومان، يعبر عنها بالحب الإلهي للوثن الذي عبدوه من دون الله تعالى، فمن احتفل به فهو يحتفل بمناسبة تعظم فيها الأوثان وتعبد من دون من يستحق العبادة وهو الخالق سبحانه، القائل جل في علاه: **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا).**

ثانيا: أن نشأة هذا العيد عند الرومان مرتبطة بأساطير وخرافات لا يقبلها العقل السوي فضلا عن عقل مسلم يؤمن بالله تعالى وبرسله عليهم الصلاة والسلام.

ثالثا: أن ارتباط (القديس فالنتين) بهذا العيد ارتباط مختلف فيه وفي سببه وقصته، بل إن بعض المصادر تشكك أصلا في هذا القديس وتعتبره أسطورة لا حقيقة لها، ثم لو ثبت أن هذا العيد كان بمناسبة إعدام (القديس فالنتين) بسبب ثباته على النصرانية، فما لنا وله، وما علاقة المسلمين بذلك؟!

لماذا لا يجوز للمسلم الاحتفال بعيد الحب ؟!

والذين يحتفلون به من المسلمين يقولون: إن الإسلام دعا إلى المحبة والسلام، وعيد الحب مناسبة لنشر المحبة بين المسلمين فما المانع من الإحتفال به؟!

وللإجابة على ذلك أوجه عدة منها:

الوجه الأول: أن الأعياد في الإسلام عبادات تقرِّب إلى الله تعالى وهي من الشعائر الدينية العظيمة، وليس في الإسلام ما يطلق عليه عيد إلا عيد الجمعة، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، فيكون الإحتفال بعيد الحب ابتداعا في الدين وزيادة في الشريعة، واستدراكا على الشارع سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: أن الإحتفال بعيد الحب فيه تشبه بالرومان الوثنيين ثم بالنصارى الكتابيين وعموم التشبه بالكفار -وثنيين كانوا أم كتابيين- محرّم سواء كان التشبه بهم في عقائدهم وعباداتهم -وهو أشد خطرا- أم فيما اختصوا به من عباداتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم كما قرر ذلك علماء الإسلام استمدادا من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة -رضي الله عنهم-.

الوجه الثالث: أن المقصود من عيد الحب في هذا الزمن إشاعة المحبة بين الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم وهذا مما يخالف دين الإسلام، فإنه لا يمكن أن تجتمع محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه مع محبة الكفر وأهله في قلب واحد، فمن أحب الله تعالى كره الكفر وأهله.

الوجه الرابع: أن المحبة المقصودة في هذا العيد منذ أن أحياه النصارى هي محبة العشق والغرام خارج إطار الزوجية، ونتيجتها: انتشار الزنى والفواحش، ولذلك حاربه رجال الدين النصراني في وقت من الأوقات وأبطلوه ثم أعيد مرة أخرى.

موقف المسلم من عيد الحب

مما سبق عرضه في بيان أهل هذا العيد، وقصته، والمقصود منه فإنه يمكن تلخيص ما يجب على المسلم تجاهه في الآتي:

أولاً: عدم الإحتفال به، أو مشاركة المحتفلين به في احتفالهم، أو الحضور معهم، قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-: (فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشاركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم).

ثانيا: عدم إعانة من احتفل به من المسلمين، بل الواجب الإنكار عليهم، لأن احتفال المسلمين بأعياد الكفار منكر يجب إنكاره.

ثالثا: عدم تبادل التهاني بعيد الحب، لأنه ليس عيدًا للمسلمين. وإذا هنئ المسلم به فلا يرد التهنئة. قال ابن القيم -رحمه الله-: (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالإتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب..) "أحكام أهل الذمة".

رابعا: توضيح حقيقة هذا العيد وأمثاله من أعياد الكفار لمن اغتر بها من المسلمين، وبيان ضرورة تميز المسلم بدينه والمحافظة على عقيدته مما يخل بها، وتذكيره بمخاطر التشبه بالكفار في شعائرهم الدينية كالأعياد أو بعاداتهم وسلوكياتهم.

نسأل الله تعالى أن يحفظ المسلمين من مضلات الفتن وأن يقيهم شرور أنفسهم ومكر أعدائهم إنه سميع مجيب.

العدد 08 - فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

أمريكا تستمر في حملتها ضد الجمعيات والمنظمات الخيرية الإسلامية

مؤسسة القلوب الرحيمة الأميركية تستنكر قرار تجميدها

نفى "جهاد صميلي" محامي مؤسسة القلوب الخيرية الرحيمة في مؤتمر صحفي عقده بمدينة "توليدو" بولاية "أوهايو" الأميركية، أي علاقة للمؤسسة بأي نشاط يتعلق بالإرهاب، مؤكدا أن عملها خيري بحت.

جاء ذلك عقب قرار الحكومة الأميركية بتجميد أموال المؤسسة إثر اتهامها لها بالارتباط مع حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وشدد "صميلي" في مقابلة هاتفية مع الجزيرة نت على أن الاتهامات التي وردت بحق المؤسسة عارية عن الصحة، وقال "لقد أصِبْنا بصدمة قاسية لقرار تجميد أموال المؤسسة"، متحديا قضائيا إثبات أي تهمة تربط هذه المؤسسة بأي عمل إرهابي.

وذكر أن المؤسسة التي يمثلها ويرمز لها (بذ) تهتم بمشردي الشتات الفلسطيني من الذين يعيشون في مخيمات لبنان وغيرهم، كما أفاد بأن المؤسسة تقوم أيضا بمساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية، ومنهم أولئك الذين تضرروا من زلزال باكستان المدمر.

وعبر المحامي "صميلي" عن قلقه الشديد على صورة المؤسسة في عيون المجتمع، على اعتبار أن المؤسسة تقدم خدماتها للجميع دون وضع أي اعتبار ديني أو عرقي أو سياسي، سواء أكانوا في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة أو في مناطق أخرى.

وأوضح أن المؤسسة التي حققت سمعة حسنة لدورها الخيري قام بتأسيسها خالد صميلي وحصلت على الترخيص الحكومي بممارسة العمل في يناير ٢٠٠٢، بعد قرار الحكومة الأميركية بإغلاق عدد من المؤسسات الخيرية الإسلامية والإنسانية على خلفية تُهَم إرهابية، مشيرا إلى أنها وضعت نصب عينها منذ البدأ العمل الإنساني بمعناه الخدمي للمعوزين واليتامي والأرامل والمرضى، "ولم يكن ولن يكون لها أي هدف سياسي".

وأفاد بأن أول من يدفع ثمن تجميد نشاط المؤسسة هم آلاف المحتاجين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي أماكن أخرى.

ورجّح أن الحكومة الأميركية خضعت للتأثيرات السياسية من قبل توجهات سياسية معينة، خصوصا بعد الإعلان الأميركي عن تغيير سياستها بعد نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية وإفرازاتها، معتبرا أن مؤسسة القلوب الرحيمة كانت أولى ضحايا هذه السياسة.

وكانت وزارة الخزانة الأميركية أعلنت في بيان لها أنها جمدت أموال المنظمة "في انتظار التحقيق". ويمكن أن يقود التحقيق إلى حل المنظمة أو اعتبارها رسميا منظمة مرتبطة بما يسمى الإرهاب.

وأضافت أن المنظمة مرتبطة بمؤسسة الأرض المقدسة ومؤسسة الإغاثة العالمية "اللتين حاولتا إخفاء دعمهما للإرهاب خلف واجهة من التبرعات الإنسانية".

وأشارت الوزارة في بيانها إلى أن المنظمة تعمل بالتنسيق مع عناصر من حماس في لبنان، كما جرت مكالمات هاتفية بين مسؤولين في المنظمة ومسؤولين من الحركة الفلسطينية، التي تدرجها الولايات المتحدة ضمن ما تسميه لائحة المنظمات الإرهابية.

وكانت واشنطن أكدت أن مؤسسة "الأرض المقدسة" مرتبطة بحماس في حين أن المؤسسة الثانية على علاقة بالقاعدة، وقد جمدت أموالهما في الولايات المتحدة في ديسمبر ٢٠٠١.

وتشن الولايات المتحدة وإسرائيل حملة دولية للتضييق على حركة حماس، لاسيما بعد فوزها في الانتخابات التشريعية الفلسطينية وتكليفها بتشكيل حكومة جديدة.

الحزب اليميني الإسباني يعارض صلاة المسلمين في مسجد قرطبة

رفض نائب المتحدث باسم الحزب الشعبي اليميني الإسباني ونائب الحزب في مجلس بلدية قرطبة "ريكاردو روخاس"، باسم جماعته، اقتراح السماح للمسلمين بالصلاة في مسجد "كاتدرائية قرطبة"، الذي ينقسم إلى مسجد وكاتدرائية، مناشداً رئيسة بلدية قرطبة الدفاع عن النصارى.

وكانت الرابطة الإسلامية بإسبانيا قد طلبت من رئيس الحكومة الإسباني "خوسيه لويس ثاباتيرو" في نهاية الأسبوع الماضي دفع تحويل المسجد - الكاتدرائية إلى معبد مفتوح للصلاة، حيث أشارت إلى أن تحويل كنيسة سانتا صوفيا في إسطنبول والمسجد - الكاتدرائية في قرطبة إلى معابد مفتوحة للصلاة قد يساعد على دعم المشروع الذي تتبناه إسبانيا وتركيا، والذي يُدعى "تحالف الحضارات".

وبحسب ما ذكرته صحيفة "دياريودي كوردوبا" الإسبانية، طلب "روخاس" من الحزب الاشتراكي الحاكم وائتلاف اليسار الموحد ورئيسة بلدية قرطبة "روسا أجيلار" ألا "يخضعوا لتطلعات ثاباتيرو" بشأن السماح للمسلمين بالصلاة في المسجد - الكاتدرائية؛ "لأننا - نحن المسيحيين- نعلم أن المجمع الكنسي يشرف على كاتدرائية قرطبة، وأنها مخصصة لممارسة الدين المسيحي، حيث اعتبر أنه على "روسا أجيلار" أن تقف إلى جانب الكاثوليكيين".

ومن جانبها، أوضحت أجيلار أن "الرابطة الإسلامية قد وجهت طلبها لمن كان عليها أن توجهه له"، موضحةً أنها سوف تحترم قرار الجهة المنوطة باتخاذ قرار بهذا الشأن.

ويرجع تأسيس المسجد إلى عام 92هـ، عندما اتخذ بنو أمية قرطبة حاضرة لملكهم، حيث اشترى عبد الرحمن بن معاوية نصف الكنيسة، الذي تمت إعادة بنائه كمسجد مر بمراحل متعددة من التوسعات والتعديلات، إلا أنه تحوّل إلى كنيسة منذ سقوط المدينة بيد الإسبانيين عام [633هـ-1236م]، حيث أصبح تابعًا منذ ذلك الحين لسيطرة الكنيسة.

ويعد مسجد قرطبة من أعظم مساجد الأندلس وأكثرها أناقة من حيث روعة زخارفه وفنون عمرانه.

ثلاثون قتيلاً في اعتداءات النصارى على المسلمين جنوب نيجيريا

أفاد شهود عيان بأن الاعتداءات التي نفذها غوغاء نصارى بحق مسلمين من سكان مدينة تقع جنوب نيجيريا قد خلفت ما يزيد عن ثلاثين قتيلاً.

وقد واصلت حشود النصارى المتظاهرين توغلها في مدينة "أونيتشا الجنوبية" مسلحة بالمناجل والأسلحة وألواح المسامير.

وذكر شهود العيان أن الغوغاء النصارى واصلوا إحراق المساجد ونهب وتدمير الدكاكين التي تخص مواطنين مسلمين؛ تحت ذريعة الثأر من مظاهرات المسلمين الغاضبة التي وقعت في المناطق الشمالية استنكارًا للإساءة لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، في صحافة أوروبا.

وقال "أفوما كلارا أديكوي" السائق النصراني البالغ من العمر 40 عامًا الذي كان يقود عربته عبر بلدة أونيتشا: "إننا نقتل المسلمين هنا؛ لأنهم يقتلون إخوتنا وأخواتنا في الشمال".

ولفتت صحيفة واشنطن بوست إلى أن أكثر من ألف شخص قتلوا في القتال بين النصارى والمسلمين في نيجيريا خلال عام 2004.

أما "عبده آروا" الشاب المسلم البالغ من العمر 25 عامًا، والذي يعمل بائعا في أحد الأكشاك على الطريق في بلدة أونيتشا، فقال: "لقد سرق الغوغاء النصارى مني ستين دولارًا وحاولوا طعني قبل أن أنجح في الهرب منهم عبر نهر النيجر، ولست أملك الآن سوى ملابسي التي أرتديها".

وقد اجتمع اللاجئون المسلمون في مركز شرطة في مدينة مجاورة هي مدينة "أسابا"، وقالوا إنّهم رأوا عشرات من الضحايا يخوضون معركتهم للبقاء على قيد الحياة في نهر النيجر الذي ألقوا بأنفسهم وأولادهم فيه؛ فرارًا من مناجل الغوغاء النصارى التي تحصد المسلمين بلا تمييز.

وقال موسى "دايابو كومريا" البالغ من العمر 28 عامًا، والذي يعمل خياطًا في منطقة كانو: "رأيت العديد من الناس في النهر".

جدل في النمسا بعد الحكم على "إيرفينج"

أثار الحكم الذي صدر ضد المؤرخ البريطاني "ديفيد ايرفينج" بالسجن ثلاثة أعوام بسبب إنكاره لمحرقة اليهود "الهولوكوست" أصداء وردود فعل واسعة في النمسا حيث صدر الحكم.

رأى عدد من النمساويين مثل الدكتور "لوثر هوبلت" وهو أستاذ للتاريخ في جامعة فيينا أن مثل هذا القانون كان ينبغي ألا يرى الوجود من الأساس.. -أي القانون الذي ينص على عقوبة تهمة معاداة السامية- وقال: "إنه قانون سخيف، وضعه أناس سخفاء، لأناس يتميزون أيضا بالسخافة".

وأعرب أستاذ التاريخ النمساوي عن اعتراضه على وضع أي قانون يحظر التساؤل حول حقيقة تاريخية بعينها.

يدور الجدل في النمسا حاليا حول قانون إنكار المحرقة، والذي يحمل عقوبة بالسجن حدها الأقصى عشرة أعوام والذي سن في أعقاب الحرب العالمية الثانية بهدف منع أية أنشطة نازية.

جريـــدة السبيـــل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة

تصدر مرة في الشهر مؤقتا

الإيداع القانوني: 2005/0096

ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:

إبـراهيم الطـالب

هيئة التحرير:

رشيـد مومن الإدريسي

نبيـل غـزال

علـي نجـم

الهاتف: 17-17-78 (037)

البريد الإلكتروني

Assabil1@yahoo.fr

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

توزيع الأدوار بين المستعمر والعلماني

بقلم: إبراهيم الطالب

إن الغرب يفترض فينا رغم الضعف والهوان الذي نعيشه، أننا متى امتلكنا القوة استعدنا ما انتهب منا، لذا يضع استراتيجياته على أساس الصراع والاصطدام والحرب، بينما يصدر إلينا ثقافة السلام والتعايش حتى تثمر لدينا الاستسلام والخنوع، فكيف تمكنت ثقافة السلام والتعايش المزيفة أن تعلو على ثقافة الاصطدام والحرب والصراع في بلداننا؟

تتمة الصفحة 1

..كما لا يشك أحد أن العولمة إنما تسعى إلى تعميم النموذج الأمريكي على باقي دول العالم بوصفه النموذج القوي الذي استطاع التحكم في السياسة الدولية بما له من قوة عسكرية واقتصادية تمكنه من ليِّ عنق من يحاول التحليق خارج سِرْبِه، بالإضافة إلى قوته الاقتصادية والعلمية والمعلوماتية التي يسخرها لإبطال الحقوق، وإحقاق الباطل.

فالإعلام الأمريكي المتصهين يصور الكيان الصهيوني هو صاحب الأرض المظلوم، وأن الفلسطيني الأعزل هو الإرهابي المستعمر الظالم.

وصور للعالم قبل سنوات قليلة أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل، ويشكل تهديدا مباشرا لأمنه وسلامه، ومن تم وجب نزع سلاحه النووي المزعوم بتدخل عسكري مباشر.

فها قد مرت سنوات على الاحتلال ولم يُعثر على أسلحة الدمار وتبين أن العراق لم يكن يمتلكها بل جاءت الجيوش الأمريكية بأسلحتها فنشرت الدمار في البلاد كلها، والدور الآن على سوريا وإيران دول محور الشر حسب التقسيم الأمريكي للعالم.

لقد تبين أن أمريكا وأوربا وكل الدول المستعمرة تواصل نهبها لخيرات المسلمين باستغلالها لمقدراتهم على مرأى ومسمع من العالم كله.

فكيف تم ذلك؟

الإستعمار الفكري قبل الإستعمارالعسكري

يقول "روجيه روسترو" أحد القياديين في الخارجية الأمريكية سابقا: "يجب أن ندرك الخلافات القائمة بيننا وبين الدول العربية ليست خلافات بين دول وشعوب بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، فقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصورة مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي".

هذا الكلام ليس كلاما للمدافعين عن الهوية والتراث الإسلامي بل هو كلام لرجل كان يقدم استشاراته في يوم من الأيام لصناع السياسة الخارجية في أمريكا.

إن كل واضعي السياسة الخارجية الأمريكية، يركزون على مفهوم الصراع الحضاري بين المسلمين والمسيحيين، فـ"هنتنجتون" و"فوكوياما" و"روجيه روسترو" وغيرهم كثير هم مستشارو الرؤساء الأمريكيين وليسوا صحفيين أو كتاب عاديين، إنهم أناس ينتجون سياسة تطبق على أرض الواقع، وليس فكرا نظريا يؤسس للسجالات الكلامية على الورق والمنابر.

إن الاستعمار العسكري لا يُمَكَّن له في أرض إلا إذا سبقه ومهَّد له الإستعمار الفكري الذي يهيِّؤ له النفوس المستسلمة، والقادة المزيفين والعملاء المنافحين، والمثقفين المأجورين، حتى يضمن انعدام المقاومة أو ضعفها على الأقل.

ففي الوقت الذي تنهب فيه البلدان الإسلامية نهبا، وتنتهك فيه مقدساتها انتهاكا، وتغتصب فيها أعراضها اغتصابا، نجد الدعاوى المحمومة إلى تبني ثقافة التعايش وقبول الأخر (أي اليهود والنصارى) ونبذ الكراهية والحقد، وحوار الحضارات، والتقريب بين الأديان، فلصالح من إذن تحرك هذه الدعاوى في البلدان الإسلامية؟ ومن يجب أن يقبل من؟ الذي يستعمر بلدانا بأكملها ويبيحها لمئات الآلاف من جنوده؟ أم الذي تغتصب نساؤه في السجون والمعتقلات؟ من عليه أن يتعايش مع الآخر؟ آلذي يملك الترسانات النووية، أم الذي تستباح أرضه إذا ما فكر في إجراء أبحاث نووية؟

لماذا يطلب الغرب منا السلام؟ ونحن الضعفاء الذين يُحارَبون في كل قطر.

ولماذا يُطلب منا التعايش والانفتاح؟ في الوقت الذي نقلد فيه الغرب في كل شيء.

إن الغرب يفترض فينا رغم الضعف والهوان الذي نعيشه، أننا متى امتلكنا القوة استعدنا ما انتهب منا، لذا يضع استراتيجياته على أساس الصراع والاصطدام والحرب، بينما يصدر إلينا ثقافة السلام والتعايش حتى تثمر لدينا الاستسلام والخنوع، فكيف تمكنت ثقافة السلام والتعايش المزيفة أن تعلو على ثقافة الاصطدام والحرب والصراع في بلداننا؟

وما هي الآليات التي يعتمد عليها الغرب في إشاعة ثقافة السلام والتعايش في الوقت الذي يذبح أبناءنا ويستعمر بلداننا؟

لقد اعتمد الغرب بشكل مباشر على النخب العلمانية في هدم ثقافة المقاومة سواء الفكرية أو المسلحة في المجتمعات الإسلامية وذلك بتوفيره لهم الحماية والتمويل، وتمكينهم من المراكز الحساسة في بلدانهم، مع العمل على منع الأطر التي تحمل الثقافة الإسلامية والمخلصة لهويتها من الوصول إلى الحكم ونعتها بالتزمت والانغلاق والرجعية والإرهاب.

إن قوة الشعوب تكمن في مدى إيمانهم بمقومات هويتهم، وعلى حسب قوة هذا الإيمان تكون قوة المقاومة لأي غزو سواء كان فكريا أم عسكريا.

من هذا المنطلق كان آباؤنا المتشبثين بدينهم يرفضون إبان الاستعمار أن يلج أبناؤهم المدارس العصرية التي يقدم فيها المستعمر التكوين الغربي لعلمهم بالأهداف التي يرمي إليها من خلال برامجه التعليمية الهادفة إلى تخريج أطر تنفذ مخططاته بعد أن يتمكن من مسخ هويتها.

إن دعاة الفكر الغربي والمنافحين عن ثقافة المستعمر يتوارون خلف بريق القيم الأوربية التي أصبحت للأسف جزء من ثقافة أبنائنا بعد أن مُكِّن لها في برامجنا التعليمية، فقيم الديمقراطية التي يتبجح بها الغرب وينافح عنها العلمانيون في بلادنا، هي نفس القيم التي رددها قبلهم المستعمرون الأوائل في المغرب والجزائر وليبيا ومصر وكل الأقطار الإسلامية فلطالما سمعنا من بوش قوله للعراقيين:

جئنا **لنحرركم**، وقالها قبله نابوليون في مصر: جئنا **لنمدِّنكم**، وقالتها فرنسا للمغاربة: جئنا **لنحميكم**، فلم يقل أحد منهم جئنا **لنقتلكم** أو **لننهبكم خيراتكم؟**

إن الغرب العلماني لم يستطع أن يبث فينا ثقافة الاستسلام إلا بعدما حارب ثقافة المقاومة بالتمكين للرموز العلمانية التي صنعها على يده والتي تروج لمخططاته.

فكيف حصل ذلك؟

توزيع الأدوار بين المستعمر والعلماني

لقد عمل المستعمر على تنفيذ النصف الأول من المؤامرة على ثقافة المسلمين ودينهم وهو إسقاط الخلافة الإسلامية من سدة الحكم حتى يضمن تبعية البلدان بخيراتها وعقولها له، بينما أسند النصف الآخر والذي تمثل في الحرب على الدين وزعزعة الاعتقاد إلى النخبة العلمانية التي حرص على تكوينِها تكوينا غربيا ماديا لا يقيم للدين وزنا، وكفل لها الرعاية والحماية والتمويل، ولا ينبغي أن ننسى أن القاسم المشترك بين العلمانيين والمستعمرين هو العداء للدين من حيث كونه مؤطرا للسلوك ومؤسسا للثقافة.

لقد أسند المستعمر بعد اندحاره زمام قيادة الأمة إلى المثقف العلماني المستغرب والسياسي الوصولي بدل العالم الرباني والفقيه المجتهد، فتقلص دور الجوامع والمؤسسات الدينية، وغيِّب العالم والفقيه عن الساحة الاجتماعية والثقافية، وصار كل من يُظهر العداء للدين والتراث-سواء كان هذا التراث أدبا أم فقها أم تاريخا- من الزعماء والمفكرين والمجددين الكبار، فأسندت إليهم المناصب وخلعت عليهم الألقاب من أمثال: "علي عبد الرزاق" و"طه حسين" و"قاسم أمين" ومن كان على شاكلتهم.

واستكمالا للخطة الاستعمارية القاضية بتغيير الثقافة الإسلامية، عمد المستغربون إلى أغلب المؤسسات الدِينية التي كانت تنتج الثقافة الإسلامية وتُخرِّج آلاف الشعراء والأدباء والفقهاء وآلاف العلماء في شتى الفنون ينافحون عن الإسلام وثقافته، فأفسدوها باسم الإصلاح وخربوها باسم التطوير، فأصبحت المؤسسات والجوامع التي أخضِعت قسرا لخطط الإصلاح المزعومة، كالأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب، وجلِّ الجوامع والمعاهد الدينية بالشام والعراق كأن لم تَغْنَ بالأمس، ضعيفة الأثر هزيلة النتاج، فاستبدلت بالجامعات العصرية والمدارس المختلطة على الطراز الأوربي، واشتدت الحرب على كل ما يمُت للتراث بصلة، وانتشرت المذاهب المادية بين أبناء المسلمين فتخرج من تلك المدارس والجامعات أجيال ممسوخة ثقافيا ودينيا، يدعون إلى العلمنة وتقليد الغرب في كل شيء، فطلعوا على أمتهم بأدب الحداثة اجتروا فيه مفاهيم الغرب المحمَّلة بالكفريات والمجونيات، وبثقافة حقوق الإنسان وفق النظرة الأوروبية، فاعتبروا الحدود الشرعية عقوبات وحشية، والحجاب اعتداء على المرأة، وتطبيق الشريعة رجعية وتخلف، والدعوة إلى الله إيديولوجية تبرر استبداد الحاكم، فقاسوا الوضع في أوربا إبان الثورة على الكنيسة في العصور الوسطى، على الوضع في البلدان الإسلامية وصوَّروا لأبناء المسلمين أن العلة واحدة تكمن في تسلط الفكر الديني (الإسلام) والحكم واحد وهو الحرب عليه.

فشن العلمانيون القوميون (الطورانيون والعرب، والشيوعيون) الحرب على كل ما يمتُّ للإسلام بصِلة، فهدمت المساجد وخربت المعاهد الدينية، وقتل من العلماء العشرات وسُجن المئات في جل البلدان الإسلامية التي استولت عليها الأحزاب البعثية الشيوعية والأحزاب الاشتراكية وأصبح شعار الساسة فيها :

سلام على كفر يوحد بيننا

وأهلا وسهلا بعده بجهنم

وعملوا على إعادة صياغة البنية الثقافية في البلدان العربية وحملوا المسلمين على اعتناق الثقافية العلمانية المرتكزة على أساس الوطن واللغة، حتى يتمكنوا من تهميش الإسلام وإقصاء رجاله من أن يلعبوا دورا في التغيير.

إن ميدان الثقافة في البلدان الإسلامية كان المضمار الذي عرف أشرس الحروب بين الهوية الإسلامية والفكر العلماني وذلك بغية تغيير المسار التاريخي للمسلمين، فملئت الساحة الثقافية في جل البلدان الإسلامية بالمذاهب المنافحة عن قناعات الغرب، والمؤمنة بأن لا خلاص للأمة إلا باتباعه والسير على خطاه حتى أصبحنا نقلده في كل شيء.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

نساؤنا والعَلمانية

رياض النساء

بقلم: حمّاد القبّاج

تطرقنا في العدد السابق إلى بيان (ظاهرة) سيئة تفشت بين كثير من نساء الأمة، ألا وهي الممارسات الشركية المتنوعة بالقول والفعل، والتي تصدر عنهن بناء على خلل، بل وانحراف في فهم الربوبية والألوهية.

ونقف في هذا العدد مع ظاهرة أخرى لا تقل خطورة، وإخلالا بتوحيد الخالق جل وعلا، ومستلزمات عبوديتنا له عز وجل، وهي ظاهرة (العَلمانية).

والجامع بين هذين الأمرين (الشرك والعَلمانية)، كونهما ناتجين عن جهل بالتوحيد، وسوء فهم له ولمستلزماته.

فالتوحيد هو العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال وإفراده بالعبادة.

وهذا العلم هو أعظم أركان الدين وأكبر أساسياته، وذلكم الاعتراف هو أول وأهم واجب على العباد.

والمشركة تخل به من حيث كونها تجعل لله شريكا في بعض العبادة.

والله تعالى يقول: "**وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**" إبراهيم 30.

والعلمانية تخل بذلك من حيث كونها تجوز مشاركة الإنسان لله في حق التشريع المطلق.

والله تعالى يقول: "**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" الشورى21.

ويعود أصل كلمة العلمانية إلى اللغة اللاتينية، وهي مأخوذة من كلمة: (SECULARISM) وتعني الدنيا، أو الدنيوية أو غير دينية.

وحقيقة هذا المذهب: الاعتقاد بأن الدين لا دخل له في شؤون الدولة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن تدبير هذه المجالات راجع إلى الناس، لهم أن يشرعوا في ذلك ما تبدو لهم فيه المصلحة، دون التقيد بشرع إلهي، وأن الرجوع إلى هذا الأخير والصدور عنه غير لازم، بل صار في زمن العلم والتطور متجاوزا، وأن ما في الدين من تشريع، خاص ببيئة وزمان معينين!

ولذلك فإن الإسلام عند المرأة العلمانية لا يعدو كونه دين روحانيات وشعائر فقط لا دخل له في شؤون الإنسان الأخرى!

...ويمتد الفكر العلماني ليشمل قناعات الفرد وسلوكه الشخصي، فالدين لا دخل له في شؤون المرء المختلفة، إذ هو حر في أن يعتقد ما شاء، ويقول ما شاء، ويفعل ما شاء، دون قيد يمليه الشرع أو إلزام يفرضه الدين!

وهكذا فإن العلمانية تعتقد أن الدين لا دخل له في لباسها وسلوكها وتصرفاتها المختلفة،..وغير ذلك من شؤونها، ولا يلزمها أن تؤدي ما يوجبه من عبادات وشعائر، بل هي حرة في ذلك، إن شاءت فعلت، وإن شاءت تركت..!!

وهذا لعمرو الله تصور فاسد يتنافى مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة من أن الحكم لله وحده، كما قال سبحانه: "**إن الحكم إلا لله**" يوسف، وهذا يشمل الحكم الكوني والحكم التشريعي، كما قال تعالى: "**ألا له الخلق والأمر**" الأعراف.

ومن المعلوم أيضا أن شرع الله تشمل أحكامه وتوجيهاته كل مناحي الحياة، فهو يستوعب ما يتعلق بالشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بالإضافة إلى أمور الطهارة والصلاة والصيام ونحوها، وما يرجع إلى الأخلاق والسلوك، ..وغير ذلك مما هو منظم لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالمخلوق، وكذا ما يبين للإنسان أدبه مع نفسه، ..ولكن العلمانيين لا يعلمون.

وصدق ربنا القائل: "**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**" الأنعام91.

إن المذهب العَلماني يتضمن أعظم الطعن في الله سبحانه، ومتبنيه لم يقدر الله حق قدره، وذلك لأنه يقول بلسان الحال أن الله تعالى عاجز أن يشرع للناس ما به يهتدون، أو أنه سبحانه خلقهم عبثا وأهملهم ورضي لهم ما يشرعونه بأهوائهم، بما فيه من الظلم وأنواع الاعتداء على النفس والغير! بل هناك من قال بعض ذلك بلسان المقال!!

قال عز وجل: "**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**" المؤمنون:115-116.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "قوله تعالى: "**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا**" أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل: للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب؟! **وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل.**

"**وأنكم إلينا لا ترجعون**" أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى: "**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**" يعني هملا.

وقوله: "**فتعالى الله الملك الحق**" أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك "**لا إله إلا هو رب العرش الكريم**" فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم أي حسن المنظر، بهيّ الشكل كما قال تعالى: "أنبتنا فيها من كل زوج كريم". تفسير ابن كثير3/346.

...لقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وأنزل عليه شريعة عظيمة تكفل للإنسان حقوقه وتبين له واجباته، وترغبه في كل خير وتزجره عن كل شر، وتهديه للتي هي أقوم في عقيدته وفكره وعبادته وسلوكه وكل شؤونه الفردية والأسرية والاجتماعية... وغيرها.

شريعة كاملة صالحة مصلحة لكل زمان ومكان، لأنها صادرة عن العليم الخبير الذي يعلم ما كان وما سيكون، قال الله سبحانه وتعالى: "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**" المائدة 3، وقال تعالى: "**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**" يونس37، وقال عز وجل: "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**" النحل89، وقال سبحانه: "**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**" العنكبوت51.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه**» رواه الحاكم وصححه.

قال الدكتور صالح بن غانم السدلان: "إن التشريع الإسلامي تشريع محكم وعام وخالد، جاء بالمبادئ التشريعية والخلقية التي تسمو بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال جاء من عند الله عاما لكل أجناس البشر لا يختص بقوم دون قوم أو جيل دون جيل، موجه إلى الناس كافة باعتبار إنسانيتهم التي ميزتهم عن سائر الحيوان ليحقق مصالحهم في كل عصر ومصر، ولا يتخلف عن أي مستوى عال يبلغه أي مجتمع من المجتمعات، ومع عموميته فإنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكر فيها خبرا أو شملها حكما أو أدرجها تحت أصل أو قاعدة، فالشريعة الإسلامية منذ نشأتها الأولى كذلك رسالة للعالمين طبيعتها طبيعة شاملة، ووسائلها وسائل إنسانية كاملة وغايتها نقل هذه البشرية كلها من عهد إلى عهد، ومن نهج إلى نهج عن طريق مصدرين أساسيين هما: القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم" أنظر: وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ص67.

وشريعة الإسلام شريعة الرحمة والنور والعدل، قال الله تعالى: "**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**" الشورى52.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا".

فأحسن الله عزاءنا في فكر هذا الصنف من مثقفاتنا!! اللواتي يجهلن حقائق أساسية عن دينهن والتي عرفها من كان أبعد منهن عن الإسلام، يقول المستشرق النمساوي "ليوبولد فايس" (محمد أسد) وهو يتحدث عن سبب اعتناقه للإسلام: "الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ويشد بعضها بعضا، فليس هناك شيء لا حاجة إليه وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك ائتلاف متزن مرصوص. ولعل هذا الشعور بجميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي" (الإسلام على مفترق الطرق ص15).

فالشريعة الإسلامية نعمة عظيمة أكرم الله بها البشر رجالا ونساء، وقد جحد هذه النعمة وكفر بها -بسبب الجهل أو الهوى- كثير من الناس -سيما أولئك الذين تقف في وجه فكرهم الإباحي وتقيد حريتهم البهيمية- ووجهوا إليها سهام النقد وأثاروا حول بعض أحكامها شبهات كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

ومن هنا فقد اغتر كثير ممن تأثر بتلك الشبهات الفكر العلماني الذي يسوغ له الخروج عن أحكام الشريعة، ومن هؤلاء كثير من النساء العاملات في مجال حقوق المرأة، الداعيات عبر النشاط الجمعوي وغيره إلى إنصافها وتمتيعها بحقوقها! ويؤسفني أن أقول بأن كثيرا من الجمعيات والمنظمات العاملات في هذا المجال في بلدنا الكريم، تتبنى هذا الفكر المتنافي مع ما يجب على العباد من الاستسلام لله تعالى، والانقياد لشرعه العظيم، وهذا يفوت على النساء خيرا كثيرا، ويفتح عليهن أبواب شر يربو على ما يسعون في إزالته، فكانوا بهذا أشبه بمن قيل فيه: هدم مصرا ليبني على أنقاضه قصرا.

فهل يأتي على نسائنا العلمانيات حينٌ يدركن فيه هذه الحقيقة، ويبْنين دعوتهن لإصلاح أوضاع المرأة- ونشاطهن في ذلك- في مجتمعاتنا على مقتضياتها؟

عسى أن يكون ذلك قريبا، والرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، وبالله التوفيق.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

مواقف إيمانية نسائية

آسيا امرأة فرعون

ضرب الله عز وجل بإيمانها المثل، وخلد ذكرها في كتابه العزيز، لأنها أعلنت إيمانها بالله عز وجل،ولم تخف من بطش فرعون، وصبرت على تعذيبه إياها وآثرت ما عند الله عز وجل، من نعيم مقيم على نعيم الدنيا الزائف قال تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" التحريم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: "رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" التحريم.

قال الدكتور عمر الأشقر: "وقفت بعض النساء مواقف إيمانية متميزة عبر التاريخ، وبعض هذه المواقف يعجز عنها الرجال، ومن هؤلاء آسيا امرأة فرعون، فقد جادت بنفسها لله عز وجل، وآثرت ما عنده، وتخلت عن الدنيا، وصبرت على عذاب زوجها لها، حتى فاضت روحها إلى بارئها.

ماشطة ابنة فرعون

كانت هذه المرأة تعيش في قصر الملك، وكانت تعنى بابنته، فتمشط شعرها، وتقوم على أمرها، ومن كان هذا عمله لا بد أن يكون مُكَرَّما مُعَزَّزا مرفها، ولكن الإيمان غزا قلبها، وملك عليها أمرها، كما غزا قلب الملكة زوجة فرعون، فالإيمان يجد له طريقا إلى قلوب الأغنياء، كما يجده إلى قلوب الفقراء، عندما يريد الله بعبده خيرا.

قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار، عيسى بن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون.

وقد كتمت هذه المرأة إيمانها كما كتمته زوجة فرعون، وكتمه مؤمن آل فرعون "وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ" غافر.

ولكن مهما حاول المرء أن يكتم ما يجري في أعماق نفسه، فلا بد أن تدل عليه تصرفاته وسمته، وحركاته وأقواله، ففي بعض الأوقات يغفل الإنسان عن نفسه فيتصرف بسجيته.

أعرابية ذهب البرد بزرعها فصبرت واحتسبت فعوضت خيرا

قال التنوخي: "أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي "بالبصرة" سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قراءة عليه وأنا أسمع عن البرقي قال: رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: "اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض عما تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا إليك".

قال: فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجِلاَّء فحُدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار".

الحجاب تشريع رباني

رياض النساء

-الحلقة الرابعة-

شبهات في طريق الحجاب

أيتها القارئات الكريمات بعد تلكم الجولة الممتعة النافعة في رياض فقه القرآن والسنة المتعلق بهذا الحكم الشرعي، وهي جولة أخذت فيها بيد أختي المسلمة لأساعدها على طاعة ربها؛ فإنني أتمم وأكمل هذه الخدمة بالتعاون معها على تجاوز عقبات قد تُعرقِل مسيرتها في هذا الطريق المبارك.

وهذه العقبات والعوائق؛ هي شبهات يقذفها شياطين الجن والإنس في قلب المسلمة الطالبة للحق، فنذكرها إن شاء الله واحدة واحدة مع كشف زيفها، وبيان وهاءها بما نسلط عليها من أنوار الوحي وضياء الحكمة.

1- الحجاب خاص بأمهات المؤمنين:

ويكفي في رد هذه الشبهة أن نقرأ قول الله تعالى: **"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ"**، فلم يقتصر الله سبحانه وتعالى على أمهات المؤمنين، بل أمر بذلك سائر نسائهم.



وقوله تعالى: **"وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ"** لا دليل فيه على الاختصاص، لأن الضمير وإن كان عائدا إلى أمهات المؤمنين فإنه يشمل سائر نساءهم بدليل قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك: "ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ" فإن نساء المؤمنين أحوج إلى طهارة القلب من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

قال العلامة الشنقيطي في الأضواء: "فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة في قوله تعالى: **"ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ"** قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى أطهرية قلوبهن، وقلوب الرجال من الريبة منهن، وقد تقرر في الأصول أن العلَّة قد تعم معلولها، وإليه أشار في مراقي السعود بقوله:

وقد تخصص وقد تعمم ... لأصلها لكنها لا تخرم

وبما ذكرنا تعلم أن في هذه الآية الكريمة، الدليل الواضح على أن وجوب الحجاب، حكم عام في جميع النساء، لا خاص بأزواجه صلى الله عليه وسلم، وإن كان أصل اللفظ خاصا بهن، لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه "أضواء البيان".

2- الحجاب عادة عربية وليست فريضة إسلامية:

وهذا كلام تغني حكايته عن رده، فليت شعري من القائل: **"وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ"**؟! ومن القائل: **"يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ"**؟ ومن القائل: **"وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ"**؟ آلعرب في عاداتهم؟ أم رب العالمين في كتابه الذي هو المصدر الأول من مصادر التشريع في الإسلام؟!

3- الحجاب ليس بواجب لأنه ليس من أركان الإسلام:

ويكفي أن نستحضر في رد هذه الشبهة أن أول هذه الأركان شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذا يستلزم من العبد أن يطيع الله ورسوله في كل ما أمر الله ورسوله به، إذ أن حقيقة الشهادة تتكون من عقيدة القلب ونطق اللسان، وتصديق ذلك بالعمل، فلا تتم الشهادة إلا بعمل.

فالتي تشهد لله تعالى بوحدانيته، وللنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، يلزمها أن تطيع الله ورسوله فيما أمرها الله ورسوله به من الحجاب والتستر، وترك التبرج.

وإن مما لا يشك فيه عاقل أن ثمّة واجبات كثيرة فرضها الله غير الصلاة والصيام والحج والزكاة، ولا يوجد عالم بل ولا مسلم يحصر الواجبات في هذه الأربعة.

4- العبرة بما في القلب من إيمان دون هذه المظاهر:

وهذه شبهة يتعلق بها كثير من ذوي الأهواء الذين يسعون للانسلاخ من الأحكام الشرعية، مع تسويغ سلوكهم المذموم.

والذي يقرأ القرآن ويدرس السنة يعلم أنهما اشتملا على تشريعات كثيرة ترجع إلى ظاهر الإنسان دون باطنه.

وعلى المسلمة أن تعلم أن العمل الظاهر، من حقيقة الإيمان، كما قال الله تعالى: **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ"** الأنفال 3-2.

فإن هذه الآية الكريمة جعلت الصلاة والإنفاق -وهما من أعمال الجوارح- من حقيقة الإيمان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»** مسلم.

فإقام الصلاة والإنفاق وإماطة الأذى أعمال جوارح، جعلها الشارع من حقيقة الإيمان.

5- الحجاب لا يتلاءم مع العصر

وهذا كلام ساقط لا يصدر من مؤمنة، فإن تستر المرأة من تمام حياءها وعفتها، وهما مطلوبان في كل عصر ومصر.

6- الحجاب يحول بين المرأة وبين الإسهام في تنمية مجتمعها

ويكفي في رد هذه الشبهة أن نستحضر ما كان عليه نساء الصحابة من المساهمة في أعمال مختلفة، وأنشطة متنوعة ثقافية واجتماعية.. وغيرها، وكيف كان لهن دور كبير في نشر العلوم وبث المعارف.

ونحن نرى في واقعنا محجبات يكذبن الزعم المذكور، حيث منهن طالبات العلم والمثقفات والكاتبات والطبيبات والممرضات والمدرسات والأستاذات والباحثات في مجالات مختلفة دينية واجتماعية واقتصادية وغيرها، فضلا عن اضطلاعهن بالمهمة الأسمى، والوظيفة الخطيرة الحساسة التي هي تربية الأطفال وتكوين الأجيال ... إسهام ظاهر، ووجود فعال في المجتمع المسلم، لم يَحُل بينهن وبينه حجابهن الذي هو عنوان عفتهن ودليل صلاحهن.

7- الحجاب تشدد

وإنما وقع في هذا الوهم من تشبع بالفكر الإباحي -وثقافته- الذي يجعل تصور صاحبه تغلب عليه الميوعة، والإنسان المائع من طبعه أن يرى الاعتدال تشددا، فنقول له: الذي شرع هذا الحكم هو الذي قال: **"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"** البقرة 185، وقال جل من قائل: **"وما جعل عليكم في الدين من حرج"** الحج 78، وقال عز في علاه: **"ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون"** المائدة 6، وقال: **"الله لطيف بعباده"** الشورى 17.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن هذا الدين يسر»** البخاري، وقال: **«إني أرسلت بحنيفية سمحة»** أحمد وانظر الصحيحة(881).

فأين هو التشدد؟!!

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

من مصابيح السبيـل

كان "زاذان" يشرب المسكر، ويطرب بالطنبور، ثم رزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فصار زاذان من خيار التابعين، وأحد العلماء الكبار ومن مشاهير العباد والزهاد[1].

وإليك قصة توبته، كما يرويها "زاذان" نفسه قائلا: "كنت غلاما حسن الصوت جيد الضرب بالطنبور فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ، وأنا أغنيهم فمر ابن مسعود فدخل فضرب الباطية (الإناء) فبددها وكسر الطنبور ثم قال لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى، فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فألقى في نفسي التوبة فسعيت أبكي وأخذت بثوبه فأقبل عليَّ فاعتنقني وبكى وقال مرحبا بمن أحبه الله اجلس ثم دخل وأخرج لي تمرا"[2].

- ولنا وقفة مع هذه القصة، فمن خلال هذا السياق نلمس صدق ابن مسعود رضي الله عنه وحسن نيته، وصحة قصده في دعوته لـ"زاذان"، مما كان سببا في هداية الرجل وتوبته وكما قال صاحب "الغنية" رحمه الله معلقا على تلك القصة: "انظر إلى بركة الصدق والطاعة وحسن النية، كيف هدى الله زاذان بعبد الله بن مسعود لما كان صادقا حسن السيرة، فلا يصلح بك الفاسد حتى تكون صالحا في ذات نفسك، خائفا لربك إذا خلوت، مخلصا له إذا خالطت غير مُراء للخلق في حركاتك وسكناتك، موحدا لله عز وجل في ذلك كله وحين يزاد في توفيقك وتسديدك، وتحفظ عن الهوى والإغواء من شياطين الجن والإنس، والمنكرات كلها والفساق والبدع والضلالات أجمع، فسيُزال بك المنكر من غير تكليف، ومن غير أن يصير المعروف منكرا، كما هو في زماننا، ينكر أحدهم منكرا واحدا، فيتفرع منه منكرات جمة، وفساد عظيم..."[3].

فلما كان ابن مسعود معظما لحرمات الله تعالى وشعائره أورثه ذلك مهابة وإجلالا... وصدق عامر بن عبد القيس رحمه الله حيث يقول: "من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء"[4].

ومع هذا التغيير باليد فإننا ندرك مدى شفقة ابن مسعود رضي الله عنه حيث أقبل على زاذان وعانقه وبكى فرحا لتوبته.

- كما نلحظ من هذه القصة ذكاء ابن مسعود فانظر كيف استجاش زاذان إلى التوبة فإن زاذان كان مغنيا حسن الصوت فقال له ابن مسعود لو كان ما سمع من حسن صوتك يا غلام لكنت أنت أنت.

1- **حلية الأولياء** 199/4.
2- **السير** 281/4.
3- **الغنية** 139/1-140.
4- **صفة الصفوة** 208/3.

رشيد مومن الإدريسي

المختصر في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية جليلة عصرية ومسألة قوية من المسائل المنهجية والمباحث العقدية فما هي ماهيتها؟ وما هي حقيقتها؟ وما هو حكمها؟ وما هي درجاتها؟ ومن هو القائم فيها؟ والمتلبس بها؟ وما هي صفاته؟ وما هي الضوابط العامة لذلك كله؟.

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين، ولو طُويَ بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمَّت الفترة، وشاعت الجهالة، وفشت الضلالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلى يوم التناد.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن تأمل الرسل مع أمتهم وجدَهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشد قيام، حتى لقوا الله تعالى وأوصوا من آمن بهم بالإنكار على من خالفهم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المتخلص من مقامات الإنكار الثلاثة ليس معه من الإيمان حبة خردل.

وبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد المبالغة حتى قال: "إن الناس إذا تركوه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده" (أخرجه أحمد وغيره وصححه الضياء المقدسي والنووي والألباني عليهم رحمهم الله).

وأخبر أن تركه يمنع إجابة الأخيار، ويوجب تسلط الأشرار، وأخبر أن تركه يوقع المخالفة بين القلوب والوجوه ويحل لعنة الله كما لعن الله بني إسرائيل على تركه" المدارج 123/3.

إلا أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أشد قضايا الإسلام خطورة إذ غلط فيها طوائف من الناس: فمنهم من تركها البتة.!

ومنهم من جهل قواعدها فتخبط في تطبيقها! ومنهم من غالى فيها فخلط بين ظواهرها وخوافيها! ولطالما توهم بعض الجهلة الأغمار أو بعض المتعالمين من ضعاف الأفكار قديما وحديثا أنهم بالمعروف آمرون!! وعن المنكر ناهون!!وهم في حقيقتهم للشرع مخالفون، ولدلائل العلم متنكبون!! وإنما حكَّموا حماساتهم الفارغة وعواطفهم العاصفة دون علم يبني ولا معرفة تغني فأفسدوا أكثر مما أصلحوا وهدموا أعظم مما بَنَوا -إن بنوا- (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا).

فقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية جليلة عصرية ومسألة قوية من المسائل المنهجية والمباحث العقدية فما هي ماهيتها؟ وما هي حقيقتها؟ وما هو حكمها؟ وما هي درجاتها؟ ومن هو القائم فيها؟ والمتلبس بها؟ وما هي صفاته؟ وما هي الضوابط العامة لذلك كله؟.

1- حقيقة المعروف والمنكر

أما في اللغة: ففي المعجم الوسيط 595/2: "المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع وهو خلاف المنكر والصنيعة يسديها المرء إلى غيره"، وفي 295/2 "المنكر كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبِّحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه".

أما شرعا قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية 216/3: "**المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات**



الغالبة أي: أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه" وفي 115/5: "**والمنكر ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر**".

2- حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال العلامة الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن 486/2: "وقد أكد الله على وجوبهما في مواضع كثيرة من كتبه ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم في أخبار متواترة عنه وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه"اهـ وانظر "الفصل" لابن حزم رحمه الله 171/4.

والعلماء وإن اتفقوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنهم قد اختلفوا في نوع الواجب أهو فرض عين؟ أو فرض كفاية؟ قال بعض العلماء هو فرض عين على كل مسلم سواء وجد غيره أم لم يوجد وقالوا أن "من" من قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون.......الآية) هي للتبيين لا للتبعيض. انظر تفسير ابن كثير 390/1 والتفسير الكبير للرازي 177/8.

وجمهور العلماء قالوا: هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين وكلمة "من" في الآية هي للتبعيض وقد حرر هذا غير واحد من العلماء. انظر روح المعاني 21/4 للألوسي وتفسير البيضاوي 34/2 في آخرين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن" الحسبة 66.

واختلف العلماء فيمن يلزمهم هذا الواجب الكفائي فقال بعضهم هو على الأمة عموما. انظر التفسير الكبير 177/8 وقال فريق آخر أن هذا الواجب لا يلزم إلا القادرين عليه فقط كالعلماء انظر الكشاف 224/1.

والذي يترجح والله أعلم أن يقوم بهذه المهمة علماء الأمة القادرين على أداء واجبهم (وهذا في الأمور العامة -خاصة-) فذلك أنفع للأمة وأجدر وحتى لا يكثر العبث، وأما إذا انتشر المنكر وعمَّ الفساد ولم يتمكن علماء الأمة وحدهم من مواجته وإزالته انتقل الواجب إلى باقي الأمة، بأن يقوموا مع علمائهم في دفع المنكر وإزالته على شرط أن الذي يتقدم الصفوف هم العلماء، وعامة الناس تبع لهم.

تنبيه: إعتبار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فرض كفاية هذا في الأصل وإلا فقد يكون فرض عين في حالات معينة فتأمل.

فائدة: قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "فإن علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن أمره ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئا، أو غلب على ظنه سقط الوجوب، لأنه وسيلة ويبقى الاستحباب والوسائل تسقط بسقوط المقاصد وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل المسجد الحرام وفيه الأنصاب والأوثان ولم يكن ينكر ذلك كلما رآه، و لم يكن كلما رأى المشركين ينكر عليهم وكذلك كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة فسوقهم وظلمهم وفجورهم كلما رأوهم مع علمهم أنه لايجدي إنكارهم.

قد يكون من الفسقة من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسوقا إلى فسوقه وفجورا إلى فجوره" قواعد الأحكام 109/1.

←

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

3- قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدة كشف عنها نبينا عليه الصلاة والسلام في قوله: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" صحيح.

قال شيخ الإسلام: "...وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر في فعله ومن لم يفعله فليس بمؤمن (أي كامل الإيمان)" مجموع الفتاوي.

ولقد روى الطبراني في المعجم الكبير 1129 بسند صحيح أن ابن مسعود رضي الله عنه سمع رجلا يقول: **هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر! فقال له ابن مسعود: "هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر"** وشرح ذلك الحافظ ابن رجب في: جامع العلوم والحكم 245/2 بقوله: "يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر للقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك".

4- مناط إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مناط إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمران:

- أولا:

القدرة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي 662/8: "فإن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته، قال تعالى: "**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**"، وقال الإمام القرطبي رحمه الله في الجامع 48/4: "أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك".

- ثانيا:

عدم الخشية: ففي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال رحمه الله 84: "أن الإمام أحمد رحمه الله سئل عن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إن خشي؟ قال: هو واجب عليه حتى يخاف فإن خشي على نفسه فلا يفعل".

5- صفات الآمر والناهي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولا بد في ذلك من الرفق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شانه" مسلم وقال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف" (روى القطعة الأولى البخاري رحمه الله وروى مسلم رحمه الله الحديث تاما) ولا بد أن يكون حليما صبورا على الأذى فلا بد أن يحصل له أذى فإن لم يحلم ويصبر، كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال لقمان لابنه: "**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**"..فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر.

العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف: "**لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه**". الفتاوي 136/28-137.

6- درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال ابن القيم رحمه الله: "فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويَخْلُفَهُ ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة مُحرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون الشطرنج مثلا كان انكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النُّشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.(النشاب: النِّبال).

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله، فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى.

وهذا باب واسع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: "مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم". إعلام الموقعين 3/4-5.

7- من ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوي 481/14-482 مبينا بعض هذه الضوابط: "ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم بل يقال لمن اعتدى عليهم: عليك نفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت كما قال سبحانه: "**لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**"... فإن كثيرا من الآمرين الناهين قد يتعدى حدود الله إما بجهل وإما بظلم.

وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين"اه.

الله أكبر... ما أعظم هذا الدين هكذا العدل وهكذا القسط وهكذا الانصاف... حتى مع المخالفين من الفجار والفاسقين...

فهلا عقل أولئك الجهلة حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام قاعدة العدل هذه وطبقوها حقا حتى يكونوا مخلصين صدقا؟! أم أنهم يجهلون ويحسبون أنهم يعلمون؟! ويفسدون ويحسبون أنهم يصلحون؟.!

وكيف يرمي العلمانيون -الحاقدون على علماء الإسلام المجددين- شيخ الإسلام في جرائدهم بالتطرف والتشدد رغم كل هذا الاعتدال.

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقاعدة المصالح والمفاسد

قال شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته الحسبة 124 مبينا صفوة ذلك وخلاصته:

"وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي إن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل أكثر، لم يكن مأمورا به، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته...

وإن كان المنكر أغلب نهي عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرا بمنكر وسعيا في معصية الله ورسوله".

وقد ضرب الإمام ابن القيم مثالا على ذلك فقال: "إن النبي عليه الصلاة والسلام شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله.

وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا:أفلا نقاتلهم؟! فقال:لا ما أقاموا الصلاة (مسلم).

ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام، عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك -مع قدرته عليه- خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر.

ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء". إعلام الموقعين 4/3.

9- الوسطية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من خالف شيئا من هذا المنهج الذي سبق بيانه وتفصيله في -باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- يكون كما قال شيخ الإسلام في الفتاوي 167/28 من أولئك الذين "يأمرون وينهون ويقاتلون طلبا لإزالة الفتنة التي زعموا! ويكون فعلهم ذلك أعظم فتنة"اهـ وأشد محنة وأبلغ أدية وأشنع حالا وأسوأ مآلا...

لسنا نرضى المنكر ولا نقره ولا نحبه بل نبغض في أصحابه أفعالهم المستبشعة وصنائعهم المستشنعة فالمنكر منكر أيا ما كان فاعله...

ولكننا في الوقت نفسه نعرف أصول التعامل مع هؤلاء المخالفين التزاما بأحكام الدين واهتداء بسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تعليما ودعوة تذكيرا وتربية بعيدا عن الغوغائية والعشوائية المخالفة للدلائل الشرعية وبعيدا عن ما ليس فيه نفع... من التخريب أو القمع، التزاما بأحكام وقواعد الشرع.

ونظرتنا الجادة لأولئك المُفَرِّطين المقصِّرين وهؤلاء المُفْرِطِين الغالين الشفقة والرحمة والدعاء بالهداية مع بقاء أصلَ الأخوة الإسلامية لهم جميعا كل بحسب قربه من الله تبارك وتعالى أو بعده.

نسأل الله أن يهيِّئ للأمة الإسلامية شبابا عقلاء، يزنون الأمور والأفكار والأشخاص والجماعات بموازين الحق المتمثل فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وبالعقول الثابتة الراسخة، لا يُقادون بالعواطف العمياء ولا يخدعون بالشعارات الجوفاء التي طالما استولت على كثير ممن ألغوا قواعد دينهم واستسلموا لعواطفهم، فضاعوا وضيعوا أمتهم في وقت هي أشد ما تكون حاجة إلى من يعيدها إلى رشدها ويُمَسِّكُها بكتاب ربها وسنة رسولها عليه الصلاة والسلام ويربطها بفهم الصالح من سلفها، فتعود لها عزتها وكرامتها وتحظى برضا ربها وسعادة الدنيا والآخرة.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

كيف تحولت الداروينية من نظرية علمية إلى أيدلوجية؟

بقلم: عبد الله الشرقي

لأنها النظرية العلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد، ولكونها تدعي القيام بتفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى الخالق، فإذا ظهر أن كل نوع من أنواع الأحياء خلقت على حدة، وأن الحياة لم تظهر نتيجة مصادفات عشوائية، لأن هذا أمر مستحيل، وأن الأحياء لم تتطور عن بعضها البعض فلا يبقى أمام جميع العلماء سوى الإيمان بالله تعالى.

لقد خرجت نظرية التطور أو الداروينية من كونها نظرية -أو فرضيّة علميّة- يمكن دراستها، ووضعها على المحك، مثل النظريات العلمية الأخرى، وأصبحت "أيدولوجية" عند من يتبناها من العلماء، يدافعون عنها في توتر وقلق شديد، حتى ولو تطلّب الأمر القيام بعمليات تزوير مشينة.

ولكن لماذا تحولت الداروينية من نظرية علمية، تبحث في نشأة وتكوين الأحياءEvolotion ، إلى أيدولوجية؟

لنقترب قليلاً من النظرية ونناقش شيئا من أساسياتها، نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، وأن بعض الأعضاء الضامرة عند بعض الأحياء الراقية، هيَ آثار عن أسلاف بدائيّة، كانت مفيدة لها، ثم بعد ذلك استغني عنها لفقدان الحاجة إليه، فحدث له هذا الضمور.

فمثلاً يزعم "داروين" أن وجود الشعر في بعض المناطق لدى الإنسان دلالة على أنه ورث هذا الشعر عن أسلاف بدائية من الثديات، وفي أثناء تعاقب المراحل التطورية لديه تساقط هذا الشعر، حتى لم يبق منه سوى القليل في مناطق معينة.

مثل هذه الإدعاءات لداروين لا تستند إلى برهان علمي حقيقي، لأن وجود الوجه والعين والأذن في الإنسان لا يشكل دليلاً على أنه تطور عن القرد. كما لا يشكل وجود هذه الأعضاء في بعض الأحياء دليلاً على أنها متطوره عن بعضها البعض، لأن هناك تشابهاً كبيراً بين العديد من الكائنات الحية في العالم، وجميع هذه الكائنات تستند إلى عناصر أربعة رئيسة هيَ: النتروجين، الكربون، الأوكسجين، الهيدروجين.

كما أن الإنسان والحيوان يتغذون أغذية مشتركة، والإنسان خاصة يتغذى من الأغذية نفسها، ومع ذلك فإن جميع الموجودات وكذلك الأفراد من الإنسان يبدون في نواح عديدة فروقاً كبيرة فيما بينهم.

ويزعم داروين أن وجود بعض الأمراض التي تصيب الإنسان تصيب الحيوانات أيضاً، دليلاً على وجود قرابة بين الإنسان والحيوان، وهذا زعم بيِّن البطلان، لأن الإنسان والحيوان ذوي بنية مؤتلفة، ومن المتوقع أن يصاب كلاهما بالمرض نفسه، ولكن هذا لا يشكل دليلا على أن الإنسان تطور من ٢البيولوجية بعيدة جداً عن الإنسان. فإن نحن أرجعنا الإنسان إلى الدجاج فسيكون هذا ابتعاداً عن الداروينية لأن داروين وضع القرد مكان الدجاج بين أنواع الحيوان والإنسان.

بعد أن اتضح أن مسألة التشابه -التي هي من أسس ومنطلقات داروين- لا يمكن أن تكون أساساً للتطور، علينا أن نبيِّن بأن أساسٌ آخر من أسس الداروينية لا يصلح أيضاً ولا يملك أي مصداقية علمية، وهو زعمهم بأن الأعضاء غير المستعملة ستضمر بمرور الزمن، وأن الصفات المكتسبة عند الأحياء تنتقل إلى ذرياتها وأنسالها حسب نظرية "لامارك".

صحيح أننا نرى بعض الأعضاء ولاسيما العضلات عندما تستعمل كثيراً فإنها تتضخم. ورافع الأثقال تنمو عضلات ساعده بشكل جيد، ولكن ولد حامل الأثقال لا يأتي إلى الدنيا بعضلات ضخمة وقوية، ولكي يملك مثل هذه العضلات عليه أن يتمرن على رفع الأثقال.

ونظير هذا، نجد أن اليهود يختتنون منذ أربعة آلاف سنة، والمسلمين يختتنون منذ أربعة عشر قرناً، وعلى الرغم من هذا لا يولد أطفال اليهود أو المسلمين مختونين. ولذا فإن قبول انتقال الصفات المكتسبة إلى ذرياتها عن طريق الوراثة، واعتبار هذا الأمر قضية مُسلّم بها لا يتلائم مع العلم ولا الكرامة العلمية.

ومثيل هذا خرافة أن الأعضاء غير المستعملة تضمر بمرور الزمن، وتنتقل ضامرة إلى الأجيال القادمة، وأما الأعضاء المستعملة فتقوى وتتطور، وقد ادعى "لامارك" بأن عنق الزرافة أصبحت أطول من المعتاد، لأنها كانت في ما مضى تضطر إلى مد أعناقها لأكل أوراق الشجر العالية، وأنها شعرت بضرورة كون أعناقها طويلة. فإنني أتسائل يا ترى، أي حيوان لا يرغب في أكل الأوراق الموجودة في أعالي الشجر؟ ولماذا طال عنق الزرافة ولم تطل عنق حيوانات أخرى، لها الرغبة ذاتها؟ فمن المعروف أن المعز تتغذى على أغصان الأشجار وأوراقها على الدوام إلى درجة أنها تعتبر من أعداء الغابات. ولكن لكون أعناقها لم تطل فهي مضطرة إلى تسلق الأشجار للوصول إلى أغصانها وأوراقها. كما أن الثعابين ترغب في أن يكون لها أرجل أربعة تمشي عليها بدلاً من صعوبة الزحف بين الصخور والأتربة.

بل يدعي داروين أن أرجل الثعابين قد ضمرت بمرور الوقت، فكيف ضمرت يا داروين وهي بأمس الحاجة إلى أرجل؟ فهذا تناقض صارخ.

إننا نرى أن الذين يصرون على التمسك بنظرية التطور يصرون على فكرة "الأعضاء غير المستعملة تضمر"، وأنها تنتقل بالوراثة إلى الأجيال القادمة، ويقدمون مثالاً على ذلك اللوزتين والزائدة الدودية عند الإنسان. فأنصار هذا القول يقولون عن الزائدة الدودية لدى الإنسان أنها عضو ضامر ورثناه عن أسلافنا آكلة العشب، لذا فلا ضرورة ولا فائدة له. ولكن العلم اليوم يقول إن اللوزتين بوابة حراسة وأمن ضد الجراثيم التي تحاول دخول جسم الإنسان عن طريق الفم.

كما يذكر داروين أن الشعر عند الإنسان ضامر أيضاً، فقد كان أسلافنا من ذوات الشعر الكثيف، وأنه عندما تطور وتحول إلى إنسان سقط الكثير من شعره. ولكنه عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء في أكثر أجزاء أجسادهن، اعتذر بعذر لا يتلائم مع العلم ولا ينسجم مع نظرية التطور فقال: (لقد كان هذا ضرورياً لجمال المرأة وجاذبيتها)!! لقد كان من الممكن أن يكون إيراد هذا السبب مفهوماً لو تم النظر للموضوع من زاوية الحكمة ومن زاوية الخلق الإلهي.

ويحاول داروين تفسير وجود الشعر في منطقة الرأس من الإنسان وعدم تساقطه مع بقية شعر جسمه فيقول: "بما أن الرأس معرض كثيراً للضربات فقد كان من الضروري أن يبقى الشعر عليه".. سبحان الله، أيتعرض أنف الإنسان وجبينه إلى صدمات أقل؟

إن الذين تبنوا نظرية التطور، ومن أجل تفسير منشأ الحياة وأصلها يرون ضرورة الإستعانة بالأحافير "المتحجرات" وذلك من أجل البرهنة على صحة هذه النظرية من جهة، وكذلك بسبب عدم حدوث أي تطور أو ما يثبت وقوعه في العهود التاريخية المعروفة.

والخلاصة أنه لكي تتم البرهنة على أن الإنسان أتى من سلف قردي، وأن الأنواع تتحول من نوع إلى آخر، فقد ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالأحافير والمتحجرات للعثور على الحلقات الوسطى الانتقالية الموجودة بين هذه الأنواع، ويسمى هؤلاء العلماء الذين يقومون بهذا العمل علماء "البالانتولوجيا" أي علماء المتحجرات.

وقد أفرط التطوريون في موضوع البحث عن الحلقة الوسطى بين الانسان والقرد إلى درجة أنهم تحدثوا عن أحفورة أو متحجرة رجل بلتداون (Piltdown man) في سنوات 1914-1912 حيث زعموا أنه جد الانسان الحالي.

وكانت الأحفورة عبارة عن قحف إنسان خمن أن عمره يعود إلى خمسمائة سنة مع فك قرد أورانجتون مع بعض الأسنان الإنسانية المثبتة. وتبين في سنة 1953 أن هذه المتحجرة مزيفة تماماً ومصنوعة!! أي أن بعض التطوريين قام بتركيب فك لقرد من نوع اورانجتون على قحف إنسان، وركبوا بضعة أسنان إنسانية على هذاالفك، ثم قاموا بإضافة مواد كيماوية على هذه الجمجمة لتبدو قديمة جداً ولإضفاء مسحة تاريخية، ثم الزعم بأنه "إنسان بلتداون" أو الحلقة الوسطى بين الإنسان الحالي والقرد. إن مثل هذه التصرفات تجعل من الصعب علينا تصديق الأبحاث المتعلقة بالأحافير والمتحجرات، وهي تشير بل تؤكد إلى أن نظرية التطور أو الداروينية خرجت من كونها مسألة علمية وتحولت إلى مسألة أيدلوجية وإلى عقيدة.

ثم اكتشف بعد ذلك أن مجالات التزوير والتزييف أكثر من أن تحصى، وقد قيل بأن جمجمة "بلتداون" أكتشف زيفها بعد أن كتب فيها آلاف المقالات وعقدت حولها مئات الندوات العلمية ونوقشت عشرات الرسائل الجامعية.

في الختام، نعيد طرح التساؤل نفسه: لماذا أصبحت نظرية التطور أيدلوجية؟

لأنها النظرية العلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد، ولكونها تدعي القيام بتفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى الخالق، فإذا ظهر أن كل نوع من أنواع الأحياء خلقت على حدة، وأن الحياة لم تظهر نتيجة مصادفات عشوائية، لأن هذا أمر مستحيل، وأن الأحياء لم تتطور عن بعضها البعض فلا يبقى أمام جميع العلماء سوى الإيمان بالله تعالى.

كما أن هذه النظرية هي من أهم النظريات المادية التي تأسست علي مفاهيمها العلمانية التي سادت ربوع العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية والتي سهلت إزاحة الدين والعلماء عن كرسي الحكم في كل البلدان الإسلامية.

أينكرون إله العرش ويـــلهـــمُ
وكوننا صدفةٌ، وصدفةً جيـــنـا
ما ذاك عقلهمُ لو أنهم عقـــلـــوا
ولكن استبدلوا بالغيث غسليـــنـا
دولار بوش شدا على لسانهـــمُ
باعوا ديارهمُ واسترخصوا الدينا
يا سر نكستنـــا يا سر نكبتـــنـا
دنستمُ زمنا أنقى أراضيـــنـا

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

(الحلقة الخامسةُ)

القاعدة الخامسة: حمل معاني الألفاظ والمصطلحات المحتملة على أصل مذهب القائل وطريقته.

اختصت اللغة العربية بكلمات تحتمل عدة معاني كما أن هناك كلمات من الأضداد كلفظة (جلل) فهي تطلق على الأمر العظيم، وعلى الأمر الحقير، وكلفظة (الهاجد) فإنها تأتي بمعنى النائم، والقائم المتهجد...

بل إنك تجد الكلمة الواحدة ظاهرها الذم والمقصود بها المدح والعكس بالعكس.

قال القلاعي رحمه الله: "فقد يوحش اللفظ وكله وُدٌّ، ويُكره الشيء وليس من فعله بُدٌّ، هذه العرب تقول (لا أبا لك) في الأمر إذا هم، و(قاتله الله) ولايريدون الذم، (وَيْلُ أمه) للأمر إذا تم، ومن الدعاء (تربت يمينك)، ولذوي الألباب أن ينظروا في القول إلى قائله فإن كان وليا فهو الولاء وإن خشن، وإن عدوا فهو البلاء وإن حسن" اهـ أحكام صنعة الكلام79.

ولذا كان من القواعد المقررة في الشريعة الغراء والمعلومة عند العلماء الفهماء: حمل معاني الألفاظ والمصطلحات والكلمات المحتملة على أصل مذهب القائل وطريقته وما عرف عنه، فإن كانت الطريقة قبيحة حملت تلك الألفاظ -في الأصل- عليها، وإن كان قائلها من أهل الفضل والصلاح وطريقته حسنة حملت -في الأصل- على أحسن محمل وأسلم مقصد.

مع التنبيه على أن المسلم ينبغي له أن يبتعد عن الكلمات والألفاظ المجملة المحتملة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

فهذا عمر رضي الله عنه مر على أناس جلسوا حول النار فقال: "يا أهل الضوء..." ولم يقل يا أهل النار وفي هذا دلالة على حسن اختيار الكلمات والبعد عن الألفاظ المجملات. نقلا من "انصاف أهل السنة والجماعة" لمحمد بن صالح بن يوسف العلي 82.

من دلائل القاعدة

أسند البخاري رحمه الله في كتاب الشروط من صحيحه قصة الحديبية ومسير النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وفيها:

(وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: "حَلْ، حَلْ" فأَلَحَّتْ، فقالوا: خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل"الخ الحديث). حَلْ، حَلْ: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فقه هذا الحديث: "جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها،



لا ينسب إليها ويرد على من نسبه إليها، ومعذرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله، لأن خلأ القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحا، ولم يعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لعذرهم في ظنهم "اهـ فتح الباري355/5.

قال ابن القيم رحمه الله: "والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما: أعظم الباطل ويريد بها الآخر: محض الحق والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه وما يدعوا إليه ويناظر عنه". مدارج السالكين521/3.

وقال السبكي رحمه الله: "...فكثيرا ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها فيُغِير على الكتاب والمؤلف ومن عاشره واستن بسنته، مع أن المؤلف لم يرد ذلك الوجه الذي وصل إليه هذا الرجل، فإذا كان الرجل ثقة ومشهودا له بالإيمان والاستقامة فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح وحسن الظن الواجب به وبأمثاله"اهـ "قاعدة في الجرح والتعديل"53.

شبهة والجواب عليها

ذكر بعضهم أن حمل معاني الألفاظ المحتملة على المحمل الحسن مع كون قائلها حسن السيرة والطريقة ضرب من التأويل، وهذا الأخير لا يصح إلا في حق المعصوم، ونقلوا في ذلك كلاما مقررا في كتب الأصول، من ذلك قول الشوكاني في كتابه "الصوارم الحداد" (ص96-97) : **(وقد أجمع المسلمون أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم).**

فنقول جوابا: هذا الكلام المجمع عليه هو في مجال الألفاظ والكلمات الظاهرة في الخطأ والزلل صدرت من غير معصوم.

أما إذا جرت على لسان المعصوم فإننا نتأول ذلك لأنه لا يجوز عليه الخطأ للعصمة المتفق عليها.

ولذلك قال علماء الأصول: "...وإنما أولنا كلام المعصوم لأنه لا يجوز عليه الخطأ، وأما غيره فيجوز عليه الخطأ سهوا وعمدا" اهـ تنبيه الغبي 253 للبقاعي رحمه الله.

فهذا إذن هو المقصود من تلك المقولة لا كما ادعاه أقوام وإلا فها هو الشوكاني رحمه الله نفسه الناقل لذلك الإجماع يقول: "والمحتمل لا يكون حجة على الخصم" نيل الأوطار85/1.

ونقل الذهبي رحمه الله في السير 330/19 عند ترجمة الغزالي رحمه الله عن المازري رحمه الله في كتابه "الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء" في معرض انتقاده لأشياء على أبي حامد قوله: "...لكن مزج فيه النافع بالضار، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها وإن أخذت معانيها على ظواهرها، كانت كالرموز إلى قدح الملحدين ولا تنصرف معانيها إلى الحق إلا بتعسف على اللفظ[1]، مما لا يتكلف العلماء مثله إلا في كلام صاحب الشرع الذي اضطرت المعجزات الدالة على صدقه المانعة من جهله وكذبه إلى طلب التأويل..."اهـ

1- دلت هذه الجملة على أن تلك الكلمات المنتقدة ليست بمحتملة وإنما هي ألفاظ ظاهرة في البطلان والقبح.

مفهـــوم العقيدة

-الحلقة الثانية-

لم تتشوه عقيدة كثير من الناس وتنحرف عن المنهج القويم إلا حينما قدمت آراءُ الرجال على نصوص الكتاب والسنة فانتشرتِ الأهواء وعمت البدع، وارتضى كثير من المسلمين المناهج الكلامية والجدال والخصومات في الدين، وأدخلوا منطق اليونان والمباحث الفلسفية في العقيدة الإسلامية.

وصدق من قال:

فإياك عـن آراء كـل مزخـرف ... مقالته كالسم في ضمنها الـردي
فقد مات خير الخلق والدين كامل ... غـني عن التبيين من كل ملحـد

سبب الضلال في الاعتقاد

إن الضلال في باب العقيدة خاصة إنما استولى على كثير من الناس بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين من الصالحين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله... فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو: إما نص وإما ظاهر في بيان أمر التوحيد والعقيدة الصحيحة.

قال مالك رحمه الله:

وخير أمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع

العقيدة ووحدة المصدر

القرآن والسنة هما المصدران الأساسان لتلقي العقيدة الإسلامية فمنها يستقي المسلم عقيدته وفي ضوئهما يميز العقائد الصحيحة من غيرها ويعرف ما يثبت منها وما ينفي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في معرض مناظرته في أمر الإعتقاد: "أما الإعتقاد فلا يؤخذ عنّي ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم"الفتاوي180/3.

قال حافظ حكمي رحمه الله:

وكل ما خالف للوحيـين ... فإنــه رد بغير مــين
وكل ما فيه الخلاف نصبا ... فرده إليهما قـد وجـبا

معارج القبول74/1.

ولذا كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم لا يتلقوا أمر دينهم عموما وأمر عقيدتهم خصوصا، إلا عن الوحي لا عقل ولا ذوق ولا كشف ولا رؤى... بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع (القرآن والسنة) فكيف بمن عارض بها دلائل الكتاب السنة، وأكثرها جهالات وخيالات فاسدة، وبهذا نفهم كما في الحديث الحسن كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر على عمر رضي الله عنه النظر في صحيفة التوراة وهو الكتاب المنزل من السماء وإن شابه التحريف فهو أفضل من كثير من الأقيسة والخيالات الباطلة.

القرآن مصدر العقيدة والسنة مبينة لها

أخرج الهروي رحمه الله عن الشافعي رحمه الله قال سئل مالك رحمه الله عن الكلام والتوحيد فقال مالك رحمه الله: "محال أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد..." اهـ ذم الكلام ق-120.

إذن لم يمت النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد تمام الدين وكماله وبعد أن بين ذلك أحسن بيان وأوفاه ومن ذلك أمر العقيدة والتوحيد مع العلم أن القرآن الكريم هو مصدر أصول ذلك والسنة مبينة له.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قد بيَّنها الله في القرآن أحسن بيان، وبيَّن دلائل الربوبية والوحدانية ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبيَّن دلائل نبوة أنبيائه وبيَّن المعاد وبيَّن إمكانه وقدرته عليه في غير موضع وبيَّن وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية، فكان في بيان الله أصول الدين الحق وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة تتضمن بيان العلم النافع والعلم الصالح ودين الحق" النبوات 241.

وقال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله:

"واتفق أهل الإسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام: أولها: معرفة خاصة الإيمان والإسلام، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص، ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو المؤدي عن الله والمبين لمراده وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه والاقرار والتصديق بكل ما في القرآن وبملائكة الله وكتبه ورسله..." جامع بيان العلم وفضله39/2-40.

لماذا اخترنا الملف؟

لم يعُد خافياً على أحد أن قصد وتعمد الإساءة إلى سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بدا واضحا في رابعة النهار، استهزاء بشخصه، وانتقاصاً لقدره، ومن وراء ذلك الإساءة للإسلام والمسلمين، وأما دعاوى حرية التعبير وحرية الإعلام وعدم التقييد للفكر والإبداع فإنها دعوى فارغة كاذبة، وأبسط الأدلة على بطلانها أنها لم تتسع لتتناول أيّاً من أنبياء الله غير المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم تتعرض لأي ديانة سوى الإسلام، ونحن نسجل هنا أننا نؤمن بجميع الأنبياء ونوقرهم ونوفيهم حقهم وذلك من أسس عقيدتنا، ومثبت في آيات محكم كتابنا، قال تعالى: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"، بل يعد المساس بجنابهم الكريم ناقضا للإيمان في ديننا، ورغم الدعاوى الزائفة والتهم الباطلة التي تلقى على المسلمين جزافاً ونعتهم بأنهم عنصريين وإرهابيين إلا أن أحداً لا يستطيع أن ينسب لمسلم أنه تطاول يوما على موسى أو عيسى عليهما السلام أو نال منهما أو عرض لهما بسخرية أو انتقاص أو لغيرهما من الأنبياء.

إن البدهيات المنهجية والعلمية تدل على استهداف هذا الدين، فمن المعلوم أنه قبل إصدار أي حكم أو توجيه أو نقد لا بد من التحري العلمي الدقيق لصحة الأمر وثبوته، والرجوع إلى المصادر للبحث عن الحقائق، ولا يُقبل بحال إلقاء القول على عواهنه، وكيل التهم جزافاً بلا أدنى منهجية ولا مصداقية. وإن كنّا نعلم أن هناك شهادات عظيمة صدرت ولا تزال تصدر عن منصفين من غير المسلمين على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم بحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتلك الشهادات تأكيد على أن العداء مقصود، لأن من طلب الحقيقة وتحرى الإنصاف اجتنب الإساءة وابتعد عن التحريض.

ومن ثم فإن هذه الإساءة وسابقاتها وما قد يتلوها قائمة على هذه الأسس الهاوية من الجهالة والعداوة العمياء، ومثل ذلك ليس مستبعداً لكن الشأن هو في موقف المسلمين، ومدى انتصارهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وذودهم عن دينهم، ودفاعهم عن شرف وتاريخ أمتهم.

إن نصرة الحبيب صلى الله عليه وسلم لن تتمثل ولن تحقق أبدا عن طريق الإضرابات والمظاهرات، أو حملات عابرة، فالنصرة الحقيقية هي امتثال أمر الله تعالى واقتفاء هدي نبيه صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى ذلك علما وعملا.

منزلة الرسل في الإسلام

إعداد: نبيل غزال

الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان، فهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالاته وإقامة حجته، والإيمان بهم يعني: التصديق برسالتهم والإقرار بنبوتهم، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وقد بلغوا الرسالات، وبينوا للناس ما لا يسع أحدا جهله.

والأدلة على وجوب الإيمان بالرسل كثيرة، منها قوله تعالى: "وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ". وقوله تعالى: "كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ". وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا".



ففي هذه الآيات قرن الله الإيمان بالرسل بالإيمان به سبحانه وبملائكته وكتبه، وحكم بكفر من فرق بين الله ورسله، فآمن ببعض وكفر ببعض، فمن كفر بأي نبيٍّ كان من الأنبياء فهو كافر بالأنبياء جميعا .

وبعثة الرسل نعمة من الله على البشرية، لأن حاجة البشرية إليهم ضرورية، فلا ينتظم لهم حال ولا يستقيم لهم دين إلا بهم، فهم يحتاجون إلى الرسل أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين خلقه في تعريفهم بالله وبما ينفعهم وما يضرهم، وفي تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه، فلا سبيل إلى معرفة ذلك إلا من جهة الرسل، فإن العقل لا يهتدي إلى تفصيل هذه الأمور، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة.

قال تعالى: "**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**".

فحاجة العباد إلى الرسالات أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطبيب، فإن غاية ما يحصل بعدم وجود طبيب تضرر البدن، والذي يحصل من عدم الرسالة هو تضرر القلوب، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم، فإذا ذهبت آثار الرسالة من الأرض، أقام الله القيامة.

والرسل الذين ذكر الله أسماءهم في القرآن يجب الإيمان بأعيانهم وهم خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر ذكرهم الله في قوله: "تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ" (الأنعام)، والباقون -وهم سبعة- ذكروا في آيات متفرقة.

ومن لم يُسَمَّ في القرآن من الرسل، وجب الإيمان به إجمالا، قال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ"، وقال تعالى: "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ"، وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم وفاءُ عدّة الأنبياء؟ قال صلى الله عليه وسلم: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا". (أخرجه أحمد وانظر المشكاة 122/2).

وأفضل الرسل أولو العزم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهم المذكورون في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا"، وفي قوله: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى".

وأفضل أولو العزم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، وأفضل الخليلين محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا، والنبوة تفضُّل واختيار من الله تعالى، وليست كسبا يناله العبد بالجد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب النفس وتنقية الخاطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس ودليله قول الله جلَّ شأنه: "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ".

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

أيها المسلم اعرف قـدر نبيــك
تالله إنه لا يعرف قدر النبـي إلا الرب العلـي

قدر النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه

إن شأن رسول الله عند ربه عز وجل لعظيم، وإن قدره لكريم، فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين .

وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكاه في كل شيء.

زكاه في عقله فقال سبحانه: "ما ضل صاحبكم وما غوي" النجم:2.
وزكاه في صدقه فقال سبحانه: "وما ينطق عن الهوي" النجم:3.
وزكاه في بصره فقال سبحانه: "ما زاغ البصر وما طغي" النجم:18.
وزكاه في فؤاده فقال سبحانه: "ما كذب الفؤاد ما رأي" النجم:11.
وزكاه في صدره فقال سبحانه: "ألم نشرح لك صدرك" الشرح:1.
وزكاه في ذكره فقال سبحانه: "ورفعنا لك ذكرك" الشرح:4.
و زكاه في طهره فقال: "ووضعنا عنك وزرك" الشرح:2.
وزكاه في حلمه فقال: "بالمؤمنين رءوف رحيم" التوبة:128.
وزكاه في علمه فقال سبحانه: "علمه شديد القوى" النجم:5.
وزكاه في خلقه فقال سبحانه: "وإنك لعلى خلق عظيم" القلم:4.

ثم أخبر عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين فقال سبحانه: "إن الله وملائكته يصلون على النبي" الأحزاب56.

ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما". الأحزاب56.

بل أقسم الله عز وجل بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل النبي، وما قلاه بعدما اختاره واجتباه، "وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى".

بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بعث فيهم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وينصروه "**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**" آل عمران.

ومن شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم، وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه فقال: "يأيها النبي"، "يأيها الرسول"، بينما نادى أنبياءه الآخرين بأسمائهم الأعلام فقال: "ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة"، وقال تعالى: "يا نوح اهبط بسلام"، وقال: "يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا".

وجمع الله بين خليله إبراهيم وخليله محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر خليله إبراهيم باسمه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم بكنية النبوة، "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي" آل عمرن.

وقدمه جل وعلا في الذكر على من تقدمه في البعث فقال: "**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً**" الأحزاب7.

وأقسم سبحانه بحياته صلى الله عليه وسلم "لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون"الحجر 72.

وفضله وشرفه بأن أمر الأمة بتوقيره واحترامه، فأخبر عز وجل أن الأمم السابقة كانت تخاطب رسلها بأسمائهم الأعلام كقولهم "يا موسى اجعل لنا اله كما لهم آلهة"، "يا هود ما جئتنا ببينة"، ونهى هذه الأمة أن تنادي النبي صلى الله عليه وسلم باسمه قال تعالى: "لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً"، ونهى أن يرفع الصوت فوق صوته فقال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ"الحجرات.

ومن الأدلة على شرفه وفضله أنه ساد الكل في الموقف العظيم قال صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه" البخاري ومسلم. فهو أول من يشفع يوم القيامة، كما في حديث الشفاعة، حين يذهب للشفاعة فيستأذن على الله فيأذن له، فإذا رأى الله تعالى خرَّ ساجدا، فيَدَعه الله ما شاء ثم يقال: "ارفع رأسك محمد قل تسمع وسل تعطَ واشفع تشفَّع" مسلم، وهذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمود"وعسى من الله واجب كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

محبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

- لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه فضلا عن ماله وأهله وولده.

- قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: "إنا نحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله عز وجل أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" ﴿

وقال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" آل عمران31.

وقال تعالى: "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" التوبة24.

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى لا يتوعد أحدا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

قال القاضي عياض المالكي رحمه الله: "فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرَّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتَوَعَّدهم بقوله تعالى: "فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ"، ثم فَسَّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممَّن ضَلَّ ولم يهد الله". (الشفا 2/18).

قال ابن رجب رحمه الله: محبة النبي صلى الله عليه وسلم على درجتين:

إحداهما: فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله، وتلقِّيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طرقه بالكلِّية، ثم حسن الإتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لابد منه، ولا يتم الإيمان بدونه .

والدرجة الثانية: فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الإقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة، والاهتمام بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الإقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة.(استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس 34-35).

قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"(البخاري ومسلم).

قال القرطبي رحمه الله: "كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المحبة بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقا في الشهوات، محجوبا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقع في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان" (الفتح 77/1).

قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" آل عمران.

قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: "إنا نحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله عز وجل أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبَ إليَّ من كلّ شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك" فقال له عمر: والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر" (البخاري ومسلم).

والمراد أنه لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه فضلا عن ماله وأهله وولده.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: "لم يُرد به حبَّ الطبع، بل أراد به حبَّ الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه. قال: فمعناه: لا تصدقُ في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك".

إلى دعاة تقارب الأديان وحوار الحضارات هذه أقوال رؤوس المنصرين والحاخامات المؤثرين في القرار السياسي في الدول الغربية

القسيس الإنجيلي "جيري فالويل" يقول: محمد إرهابي

قسيس إنجيلي معروف يُدعى "جيري فالويل" يقيم في منطقة "لينشبرج" في منطقة "فيرجينيا" له برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل إلى أكثر من 10 ملايين منزل أسبوعيا، وله جامعة خاصة أصولية تسمى جامعة الحرية، يهاجم النبي صلى الله عليه وسلم من خلال وسائل إعلامية أمريكية كبرى، إضافة إلى موقعه الخاص على الانترنت www.falwell.com وضع في صفحته الأولى تاريخا زائفا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإليك بعض أقواله التي ذكرها في برنامجه بتاريخ 2002/10/6م والذي استغرق مدة 60 دقيقة حيث يقول: "أنا أعتقد أن محمدا كان إرهابيا، في اعتقادي .. المسيح وضع مثالا للحب كما فعل موسى، وأنا أعتقد أن محمدا وضع مثالا عكسيا، وإنه كان لصا وقاطع طريق".

القسيس "بات روبرتسون" الموال لليهود يقول: محمد متطرف

قسيس إنجيلي آخر يُدعى "بات روبرتسون" معروف باهتماماته السياسية، وتأييده المطلق للكيان الصهيوني، وهو يمتلك عددا من المؤسسات الإعلامية، من بينها (نادي الـ 700) وهو برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة، إضافة إلى محطة "البث النصراني" الفضائية التي تصل إلى 90 دولة في العالم بأكثر من 50 لغة، ومنها إذاعة الشرق الأوسط المتخصصة في التنصير في منطقة العالم العربي، وقد سعى إلى الترشيح لمنصب الرئيس الأمريكي عام 1988م، ويقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو التحالف النصراني، وموقعه على الانترنت www.patrobertson.com ويملك جامعة أصولية هي جامعة "بجينت" (pegent) وقد ألقى كلاما قبيحا في برنامج (هانتي وكولمز hannity & colmes) والذي بثته قناة (FOX NEWS) حيث قال (كان -أي محمد- مجرد متطرف ذو عيون متوحشة تتحرك عبثا من الجنون).

قسيس أمريكي مدحه بوش وكلينتون يسب النبي

وهذا قسيس يدعى "جيري فاينز" وهو راعي كنيسة في (جاكسونفيل فلوريدا) والتي يصل عدد أتباعها إلى 25 ألف شخص، وهو من أبرز المتحدثين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، والذي يعد أكبر مؤتمر ديني يعقد في كل عام، وقد قام "كلينتون" و"بوش" الابن بمدح هذا القسيس وعده من المتحدثين بصدق عن دينهم، وقد ألقى كلماته القبيحة في الاجتماع السنوي للكنيسة المعمدانية الذي عقد في "سانت لويس" في "ميسوري" الأمريكية حيث يقول عن نبينا صلى الله عليه وسلم: "...شاذ يميل للأطفال، ويتملكه الشيطان".

قسيس أمريكي يسب النبي

يدعى "جيمي سوجارت" وهو قسيس أمريكي عرف بمناظراته مع الداعية المسلم أحمد ديدات رحمه الله، وقد أغلظ في الإساءة لشخص نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وذلك في شهر نوفمبر عام 2002 م حيث قال: "إنه شاذ جنسيا، ضال انحرف عن طريق الصواب".

منظمات تنصيرية

منظمة (رابطة الرهبان لنشر الإنجيل) التنصيرية المدعومة بأموال هائلة من الفاتيكان، وهي تُعدُّ من أهم مؤسسات الفاتيكان ومقرها روما، وتضم نحو مليون فرد، يعملون ليل نهار، وفي كل مكان، من أجل وقف انتشار الإسلام في العالم بكل قوة، وعلى تشويه صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونَعْتِه بأبشع الصفات، من خلال مشروع أطلقوا عليه: (مليون ضد محمد).

الصحف الصهيونية: "محمد أول الإرهابيين"

الكاتب "موشية هادر" بموقع "نيوز فرست كلاس" "الإسرائيلي" كتب مقالاً ونشر في الموقع بتاريخ 06-02-2006 بعنوان "الجهاد بالكاركتير" قال فيه:

إن المسلمين الذين يطالبون بقتل الصحفيين المسؤولين عن نشر الرسومات الكاريكاتيرية للرسول محمد يفعلون الشيء ذاته الذي فعله من قبل محمد، حيث كان أول من قام بقتل منتقديه بشكل أكثر وضوحاً من "الإرهابيين" أبناء هذا العصر.

وقال الكاتب: نعم هو ما فعله محمد في عصره لقد كان يقتل كل من ينتقده بشكل أكثر فظاعة من "الإرهابيين" أبناء هذا العصر.

وتساءل الكاتب: لماذا يشعر المسلمون بالاشمئزاز من نشر الرسومات الكاريكاتيرية عن محمد؟ وما هو الدافع من وراء قيامهم بإحراق السفارتين الدنماركية والنرويجية وحرق أعلام الدول التي نشرت فيها الصور؟ ولماذا يدعون لمقاطعة الدول وإعلان الجهاد؟ وما هو الشيء الذي يدفع هؤلاء المسلمين للتظاهر في الشوارع والدعوة لقطع رؤوس المسؤولين عن سب محمد؟

وقال الكاتب الصهيوني: الإجابة على كل تلك الأسئلة هو شيء واحد وهو: الإسلام .

وتحدث "موشية هادر" قائلاً: أن رسول المسلمين محمد كان يقتل صحفيي عصره الذين كانوا يلقبون بالشعراء ويقومون بتأليف القصائد التي تتناول مواضيع كثيرة، وكان يتخللها بعض السخرية وكانوا يلقونها أمام العامة والجمهور ومنهم من قام بتأليف قصائد تسخر من محمد وتتهمه بالطيش وأن دينه الذين جاء به دين مضحك.

وقال الكاتب الوقح: أن الانتقادات التي وجهت لمحمد كانت عنصرا مهما في نشر أفكاره ومن يؤمن به، ولهذا فإنه بادر بقتل هؤلاء الشعراء الذين كان لهم تأثير واضح على الرأي العام في حينه وأضاف: حينما كان محمد في مكة كان عاجزاً عن التصدي لهم وكان يكتفي بالوعيد بالنار وبغضب الله عليهم، ولكن وبعد أن قام بالسيطرة على المدينة قام بالإعلان عن تشكيل الجيش الإسلامي وتمكن من الحصول على أموال كثيرة بسبب الغنائم التي استولى عليها من القوافل التجارية ومن اليهود في الجزيرة العربية، وفي حينه قويت شوكت محمد واستعد للانتقام من الشعراء الذين استهزؤوا به من قبل، خاصة وأنه كان يعلم أن هؤلاء الشعراء يزدادون قوة، ومن الممكن أن يؤثرون بشكل أكثر سوء على المسلمين ولهذا فقد قرر على الفور تصفيتهم وقتلهم.

وذكر "موشية" أن أول الشعراء الذين قتلهم الرسول كان يدعي أشرف (يقصد كعب بن الأشرف) ويقول أنه ورد في كتاب "صحيح البخاري" المجلد الرابع الكتاب 52 باب 270 حديث جاء فيه: أن الرسول قال: من منكم مستعد لقتل "أشرف" لقد قال أقوال يسب فيها الله ورسوله، فقال أحدهم أتريدني أن أقتله ؟ فقال الرسول نعم.!

وقال الكاتب: أنه بعد قتل الشاعر قاموا بحمل رأسه للرسول وكان يصلي وحينما انتهي من الصلاة هلل وقال الله اكبر وفي الصباح التالي قال محمد: أقتلوا كل يهودي يسقط بين أيديكم.

ويستمر "موشية هادر" في كذبه وافتراءاته قائلا: أنه ورد في كتاب ابن إسحاق كاتب سيرة الرسول كيفية قتل "عقبة" أحد الأسرى الذين سقطوا في يد المسلمين وقال: بكى عقبة حاله وحظه وسأل لماذا حكمتم علي بالموت؟ فرد عليه محمد لأنك عدو الله ورسوله، وساءل الرسول عن ابنته الصغيرة ومن سيهتم بأمرها، فقال له محمد نار جهنم، وفي حينه قمنا بقطع رأسه، وقال محمد كان يقول أن شعره أفضل من القرآن وأحمد الله على قتلك".

ويقول الكاتب الصهيوني أن القصة الثالثة التي تشير إلى محاربة وقتل محمد للشعراء هي قصة قتل عصمة بنت مروان الشاعرة التي كانت تنتقد محمد وأضاف: جاء في كتاب ابن إسحاق أن عصمة كانت تقول لأبناء قبيلتها هل تستمعون لشخص غريب يشجعكم على القتل ليأخذ هو الغنائم؟

وأضاف: قال محمد من يخلصني منها فقام عومير وقال: أنا، وذهب لبيتها ليلاً وكان معها طفلها يرضع، فقام بأخذ الطفل من ثدي أمه ووضع السيف في صدرها، وحينما ذهب محمد للصلاة في الصباح قال لعومير: أنت ساعدت الله ورسوله، وسأل عومير الرسول: لها خمسة أطفال هل علي ذنب ؟ فقال محمد: لا.

واختتم الكاتب الصهيوني مقاله: هناك العديد من الأمثلة ولكن ما أوردته يكفي لنؤكد للجميع أن مصدر الإرهاب ومحرك الأشخاص لقتل كل من يسب النبي هو محمد وما تركه.

هكذا يسود هذا اليهودي الصهيوني الوقح هذا الكلام المملوء والمحشو بالإفك والبهتان، محيلا على صحيح البخاري وسيرة ابن هشام بالمين والزور، ومشخصا للقارئ شخصية أفضل من وطأ الحصى على أنه مجرم إرهابي خلا قلبه من الرحمة والشفقة، علما أن مواقفه الخالدة والمؤثرة شهد بها الصديق والعدو، ويكفيك فخرا ذكر قصة فتح مكة وعفوه صلى الله عليه وسلم عن قومه وقوله اذهبوا فأنتم الطلقاء، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن.

فلينظر دعاة التقريب بين الأديان ومروجي الأفكار العلمانية كيف يقدم القساوسة والصحفيون اليهود والنصارى نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه إلى مواطنيهم حتى يستنفروا كل أحاسيس الحقد والكراهية، فلماذا يترك علمانيونا هذا كله، ويتوجهون إلى المسلمين ليغيروا عقيدة الولاء والبراء المتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كلها.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

مواقف الغربيين من سبِّ رسول رب العالمين أوضحت تلبيسات العلمانيين

حين غزا الشرقُ والغربُ في القرن التاسع عشر الميلادي العالمَ الإسلامي، هَالَ حالُ الغرب فريقا من المنتسبين إلى العلم ، وأخذهم الإعجاب بهم كل مأخذ، فالتفتوا إليهم ينظرون حالهم ثم التفوا حول الشريعة الإسلامية وراحوا يحملونها ما لا تحتمل ليسايروا بها هوى الغرب العلماني والشرق الملحد.

فزعم نفر منهم أن الاشتراكية من الإسلام، وأن أول اشتراكي كان من صحابة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن الأديان متكاملة، وأن الإسلام نزع منا بُغض (الآخر)!!.

وراح نفر من هؤلاء المنهزمين المنبهرين يَكذبون على أنفسهم قبل قومهم وربهم ويقولون للقوم أن ما عندكم عندنا، فحبُّ الأوطان هو الولاء والبراء عندنا، والقوانين الكلية (الدستور) هي القواعد الفقهية عندنا!!

ونفر من هؤلاء صدَّق أن القوم عقلاء حكماء قد فهموا وأبصروا وغيرهم ـ من المسلمين ـ ما زالوا في غيهم يعمهون، فتنكر للنصوص وخط للعقل و(العقلاء) خطا في عمق الشريعة فابتدع المقاصد ـ بمفهومها الجديد ـ ليقول للغربيين أننا مثلكم نحترم العقل على ذات طريقتكم!!

وظل هذا الركب من المنهزمين المنبهرين يواصل سيره، فجاء فيما بعد من حاولوا تفسير القرآن ـ تفسيرا (علميا) حديثا يتماشى مع العقل ـ فزعموا أن الطير الأبابيل التي أرسلها الله على "أبرها الحبشي" وجنده ترميهم بحجارة من سجيل هي مرض (الجُدري)، وأن آية الدم التي أرسلها الله على فرعون هي "البلهارسيا" وغير ذلك، كل ذلك ليُحسِّنوا صورة الإسلام أما الغرب!!

والذين جاؤوا من بعدهم قالوا بـ(اشتراكية الإسلام) وأن (الديمقراطية من الإسلام)، وأن الحجاب عادة كانت وما عادت، وأن الأخوة أخوة الأوطان واللغة لا الدين والمِلَّة.

وإن كنا نحسن الظن بنفرٍ منهم، ونرى أنهم كانوا يريدون حقا الصلاح لأمتهم، إلا أن حُسن النية قد يرفع العقوبة أو يخففها إلا أنه لا يكفي لتصحيح الفعل وتمريره.

ومضت الأيام لتبرهن لنا أن القوم كانوا جسورا ركبها الغرب، وغزا بها ثوابتنا العقدية فتغير مفهوم الولاء والبراء، وظهرت (القومية) و(الوطنية) و(الجامعة العربية) بدلا من الخلافة الإسلامية، وتغير مفهوم الحجاب والجهاد وتحكيم الشريعة والتحاكم إليها، والمنهزمون يُؤولون أو (يتفهمون)!!

ثم نادى الغربيون الغزاة بالحوار (الحضاري) فبرز إليهم ثلة من المنهزمين ـ وما أخرجهم أحد من المسلمين ـ وهم يتصببون عرقا ويتوارون من (سوء) ما يفعله المنتسبون للإسلام من (إرهاب)، يجلسون جلسة الخائف المذنب أمام من يحاكمه، وانتهى الحوار بكل ما يسئ الصديق ويفرِّح العدو.

وحين ظهرت (العولمة) اشتدَّ الدجل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وخرج (الليبراليون) على الناس وألقوا حبالهم وعصيهم يريدون أن يجعلوا الكل سواء ... عقيدة الكفر كعقيدة الإيمان ... والمسلمين كالمجرمين ... حاولوا إعادة قراءة الدين من جديد ليكون إسلاميَّ الأُطر غربي المحتوى.

إلى يومهم هذا وهم مازالوا يقيمون الجسور والقناطر بين الكفر والإيمان بدعوى أن القوم (عقلاء) (مؤدبون)، وأن ما يصدر منهم من قتل وتعذيب للمسلمين والمسلمات في كل مكان وتطاول على الدين الإسلامي، إنما هو من فعل الساسة والمتشددين وأن القوم ليسوا سواء، بل جُلُّهم عقلاء!!

واليوم ـ بعد سب النبي صلى الله عليه وسلم وإهانة المصحف ـ بطل سحرهم، وانكشف جهلهم، وراحت تأويلاتهم وتسويغاتهم، فها هو الغرب يسبُّ الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ليس الدانمارك وحدها، وإنما دول أوروبا ومن قبلهم أمريكا.

لم نسمع من احتج، وإنما أحسنهم من يُبرر.
كلهم يسبُّون، وكلهم يسخرون منا ومن شرعنا.
فأين الجسور التي يبنيها القوم من قرون؟!

اليوم، وبعد سبِّ الحبيب صلى الله عليه وسلم وما حدث في (أبو غريب) و(جوانتنامو) و(قلعة حاجي) في أفغانستان، تبين للعُميان أن العلمانية ولّت أدبارها، وانتهى من التاريخ دورها، فها هي الأمة الإسلامية تتفاعل مع قضاياها في فلسطين والعراق وأفغانستان وجوانتنامو، وها هو الغرب كله يسفر عن وجهه الصليبي الكالح، ليقول لكل مغفل ما زال يؤمن بالعلمانية وأنه لا دين، أن الصراع بدأ يتجدد على خلفيات دينية، وأن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض، وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، وأن المنافقين يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

أي الفريقين أحق بالإرهاب؟

لماذا يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعنف وإراقة الدماء؟

كيف يكون الإسلام دينا يحرض على الإرهاب؟ وهذا القرآن الكريم يقول: "وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

كيف يكون الإسلام يحرض على الإرهاب وهو الذي أمر بالعدل والإحسان؟ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".

كيف يكون الإسلام ديناً يحرض على الإرهاب وهو الذي يأمر بالعفو والمغفرة؟ قال تعالى: "قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بما كَانُوا يَكْسِبُونَ"، وقال تعالى: "وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

كيف يكون الرسول رجلاً عنيفاً يدعو إلى القتل وهو الذي اشتهر بالعفو والصفح والإعراض عن الجاهلين؟ ولا أدل على ذلك من عفوه عن أهل مكة الذين آذوه وأخرجوه من بلده وآذوا أصحابه وقتلوهم، فلمَّا أن مكَّنه الله منهم قال لهم: "ماذا تظنون أني فاعل بكم"؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخٍ كريم، قال: أقول لكم كما قال أخي يوسف: "قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"، إذهبوا فأنتم الطلقاء".

هكذا كان عفوه صلى الله عليه وسلم ورحمته بالأعداء، وصدق الله القائل: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".

ألا يعلم أولئك الذين يطعنون في النبي صلى الله عليه وسلم ويتهمونه بالقتل وإراقة الدماء أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ثلاثة عشر عاماً في مكة يجاهد بالقرآن، ويجاهد بالدعوة والبيان، ويجاهد بالصبر والاحتمال هو وأصحابه وبلغتهم يجاهد بالحوار والجدال الحسن، حتى عُذب منهم من عُذب وقُتل منهم من قُتل، وحوصروا ثلاث سنوات حصاراً اقتصاديا واجتماعياً حتى أكلوا أوراق الشجر، ونوى التمر وغيره، وكان المسلمون يسألونه أن يأذن لهم في الجهاد والدفاع عن أنفسهم، فكان يقول لهم: "كفوا أيديكم لم يؤذن لي بعد"، حتى بعد أن هاجر إلى المدينة أذِن الله له ولأصحابه المؤمنين في الدفاع عن أنفسهم كما قال تعالى: "**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**".

هذه الآيات أو ما نزل في شأن القتال تأذن للمسلمين أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم، فقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأوطانهم بغير ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله، ويبين القرآن أن هذا وفقٌ لسنة التدافع، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لتسلط الأقوياء على الضعفاء، ولطغى المستكبرون في الأرض، وأضاعوا الحرمات وهدّموا بيوت الله.

إن المرء ليعجب من هؤلاء الطاعنين في نبيِّ الإسلام بوصفه رجلاً يحب القتل وإراقة الدماء، وذلك لأن الذين قتلوا في غزوات النبي وسراياه كلها لا يتعدون بضع مئات من المسلمين والمشركين، فأين هي المذابح التي ارتكبها محمد صلى الله عليه وسلم؟، وأين هم آلاف القتلى الذين سقطوا بأمر محمد صلى الله عليه وسلم؟ إن الذين ذبحوا في مذبحة صبرا وشاتيلا وغيرها يعدون أضعاف من قتلوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي غزواته كلها، مع الفارق الكبير بين حال المقتولين في الحدثين، حيث كان القتلى في صبرا وشاتيلا كلهم من الأطفال والنساء والعجزة والرجال العزل الأبرياء المهجرين، بينما كان من قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم من المجرمين المحاربين المكذبين لله ورسوله.

إننا نتساءل: يا من تدَّعون السلام والحرية والإخاء والحضارة.

- كم عدد الذين قتلوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ألم يبلغوا 25 مليون قتيل.

- وكم عدد الذين سقطوا في حرب فيتنام؟

- وكم عدد الذين قتلوا من اليابانيين بعد إلقاء القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجازاكي؟

- كم عدد الذين قتلوا في البوسنة والهرسك وكوسوفا؟

كم عدد الذين قتلوا في أفغانستان والشيشان وكشمير والعراق؟

كم عدد الذين يذبحون كل يوم في فلسطين على أيدي جنود الاحتلال الصهيوني؟

ولنعد بالذاكرة إلى الوراء فنتساءل: كم عدد الذين قتلوا من المسلمين خلال الحروب الصليبية الحاقدة، أو خلال محاكم التفتيش في الأندلس؟

لماذا يتهم الإسلام ونبيُّ الإسلام صلى الله عليه وسلم بالإرهاب والعنف، بينما يغض الطرف عن ملايين من البشر يقتلون دون أن يشاركوا في القتال ولو ببنت شفة!!

إنها دعوة للعقلاء لمحاصرة التعصب والإرهاب الفكري الذي يقود إلى تأجج الأحقاد واستفزاز الشعوب، وعدم الاغترار بالقوة المادية المتاحة اليوم لطرف من الأطراف، لأن الظلم سبب الدمار والأيام دُوَل: "وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ".

كما نعتبرها فرصة سانحة للعلماء وكل الغيورين على دينهم ونبيهم وهويتهم لتتبع ثم فضح الأفكار العلمانية الخبيثة التي تعتبر السب والطعن في القرآن والصحابة وتاريخ الأمة من حرية التعبير والتفكير.

فمتى ينهض العلماء والعقلاء إلى الدب عن هويتهم ودينهم؟

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

حب النساء للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمهن لقدره الشريـف

حماد القباج

هذا بحر لا ساحل له، وباب يحتاج في إبرازه إلى مجلدات، لكن المقام يقتضي منا أن نذكر في ذلك جملة تدل على ما وراءها، وهي إن شاء الله كافية لإعطاء صورة جليّة لما كانت عليه المرأة التي عاصرت النبي صلى الله عليه وسلم من الحب الشديد له والتعظيم الكامل لقدره، والحرص التام على اتباعه عليه الصلاة والسلام.

وهي مواقف رائدة، لا تحتاج إلى تعليق، ولا تفتقر إلى توضيح، نطقت بلسان فصيح، عبّرت به عن حب صريح، وإتباع مطلق، وتضحية كاملة..

مواقف، هي بحق مدرسة لكل نساء الأمة يتعلمن فيها أن للنبي صلى الله عليه وسلم علينا حقا يجب أن يؤدى، وواجبا ينبغي أن نقوم به، وهذا أقل ما تشكر به المرأة هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الذي أنقذها الله به من مخالب الجاهلية الفتاكة، وأنيابها القاتلة التي انقضت على عرضها وشرفها وحقوقها، فمزقتها كل ممزق، وأردتها صريعة في أرض غابةٍ خيمت على أجوائها ظلمات الشرك والوثنية والفسَاد..

مواقف تعلم المرأة كيف تحب رسول الله، وكيف تتبع رسول الله، وكيف تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم..

مواقف تملأ القلب بالتعظيم، وتبعث في النفس حرارة المودة ودفئ المحبة، وتسبغ على البدن لباس الإتباع، وحلة الطاعة والانقياد..

فدونكِ أيتها القارئة هذه المواقف، تبين لك أن عندك سلفا صالحاَ ينبغي أن يتبع، وقدوة حسنة يجب أن تحذي حذوها:

المرأة والحرص على التعلم من النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قالت النساء: "يا رسول الله غلبنا عليك الرجال **فاجعل لنا يوما من نفسك**"، فوعدهن يوما لقِيَهن فيه فوعظهن وأمرهن".رواه البخاري.

المرأة والحرص على الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: "**يا رسول الله إني أحِبّ الصلاة معك**". قال: "**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**".حديث صحيح رواه أحمد.

المرأة والحرص على الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع؟ قال اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي...الحديث بطوله. رواه مسلم.

المرأة والحرص على الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الرحمن بن خلاد الأنصاري عن أم ورقة بنت نوفل رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما غزا بدرا قالت قلت له: "**يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك** أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني شهادة"، قال: "قري في بيتك فإن الله عز وجل يرزقك الشهادة".

قال فكانت تسمى الشهيدة، قال: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذ في دارها مؤذنا فأذِن لها. قال: وكانت قد دبرت غلاما لها وجارية، فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: "من كان عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما". فأمر بهما فصلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة".حديث حسن رواه أبو داود.

المرأة وتعظيم أمر النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس قال: "خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فنعم إذا".

قال: فانطلق الرجلِ إلى امرأته فذكر ذلك لها.

فقالت: لاها الله! إذًا ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيا وقد منعناها من فلان وفلان.

قال: والجارية في سترها تستمع.

قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

فقالت الجارية: "أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه".

فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت".

فذهب أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت قد رضيته فقد رضيناه.

قالت:"**فإني قد رضيته**".

فزوجها ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم.

قال أنس: فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت في المدينة".حديث صحيح رواه أحمد.

المرأة والتماس بركة النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سُليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتِيَت فقيل لها:هذا النبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك. قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما تصنعين يا أم سليم؟" فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: "أصبت". متفق عليه.

قوله: (عتيدتها):أي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه النفيس من متاعها.

وقوله: (قواريرها): جمع قارورة.

المرأة تهب ولدها لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم

عن أنس قال: "جاءت بي أمِّي أم أنس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت: "يا رسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له.فقال: "اللهم أكثر ماله وولده".

قال أنس: "فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم".رواه مسلم في الصحيح.

قوله: (أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه) أي: جعلت نصف خمارها إزارا، والنصف الآخر رداء.

المرأة وكراهية أذية النبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الله رضي الله عنه قال: "بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش من المشركين، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذت من ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف أو أبَي ابن خلف". فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر، غير أمية وأُبَي فإنه كان رجلا ضخما فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر".رواه البخاري.

المرأة ومداواتها جراح النبي صلى الله عليه وسلم

عن سهل بن سعد الساعدي قال: "لما كُسرت على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضة وأدمي وجهه وكسرت رباعيته، وكان علي يختلف بالماء في المجن وجاءت فاطمة تغسل عن وجهه الدم، فلما رأت فاطمة عليها السلام الدم يزيد على الماء كثرة، عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقأ الدم".رواه البخاري.

المرأة تفدي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسها

عن أم سعيد بنت سعد بن ربيع: "دخلت على أم عمارة فقلت: حدثيني خبرك يوم أحد. قالت: خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليَّ الجراح. قالت: فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف. فقلت يا أم عمارة من أصابك هذا قالت أقبل بن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان.. وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا، وكانت تقول إني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها فداوته سنة، ثم نادى منادي رسول الله إلى حمراء الأسد، فشدَّت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمد الجراح حتى أصبحنا فلما رجع رسول الله من الحمراء ما وصل رسول الله إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعبِ المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها فسُرَّ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم".رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى 413/8.

المرأة والتحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

والمحدثات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرات منهن:أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها.

يقول عنها الحافظ الذهبي: "حديثها في جميع الدواوين سوى جامع أبي عيسى الترمذي، وكانت من عليَّة النساء".سير أعلام النبلاء 316/2.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

أقوال الغربيين المنصفين في رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم

واشنجتون إيرفنج

"كان محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله ليدعوا الناس إلى عبادة الله" حياة محمد، ص72.

وقال: "كانت تصرفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توّج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو" حياة محمد، ص72.

وقال: "برغم انتصارات الرسول - صلى الله عليه وسلم - العسكرية لم تثر هذه الانتصارات كبرياءه أو غروره، فقد كان يحارب من أجل الإسلام لا من أجل مصلحة شخصية، وحتى في أوج مجده حافظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - على بساطته وتواضعه، فكان يكره إذا دخل حجرة على جماعة أن يقوموا له أو يبالغوا في الترحيب به وإن كان قد هدف إلى تكوين دولة عظيمة، فإنها كانت دولة الإسلام، وقد حكم فيها بالعدل، ولم يفكر أن يجعل الحكم فيها وراثيًا لأسرته" المصدر نفسه ص303-302.

وقال أيضا: "كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينفق ما يحصل من جزية أو ما يقع في يديه من غنائم في سبيل انتصار الإسلام، وفي معاونة فقراء المسلمين، وكثيرًا ما كان ينفق في سبيل ذلك آخر درهم في بيت المال، وهو لم يخلف وراءه دينارًا أو درهمًا أو رقيقا، وقد خيره الله بين مفاتيح كنوز الأرض في الدنيا وبين الآخرة فاختار الآخرة" المصدر نفسه، ص303.

مونتغمري وات

"منذ أن قام "كارليل" بدراسته عن محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتابه "الأبطال وعبادة البطل" أدرك الغرب أن هناك أسبابًا وجيهة للاقتناع بصدق محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ إذ إن عزيمته في تحمل الاضطهاد من أجل عقيدته، والخلق السامي للرجال الذين آمنوا به، وكان لهم بمثابة القائد، وأخيرًا عظمة عمله في منجزاته الأخيرة، كل ذلك يشهد باستقامته التي لا تتزعزع، فاتهام محمد - صلى الله عليه وسلم- بأنه دجال Imposteur يثير من المشاكل أكثر مما يحلّ، ومع ذلك فليس هناك شخصية كبيرة في التاريخ حط من قدرها في الغرب كمحمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أظهر الكتاب الغربيون ميلهم لتصديق أسوأ الأمور عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلما ظهر أي تفسير نقدي لواقعة من الوقائع ممكنًا قبوله، ولا يكفي، مع ذلك، في ذكر فضائل محمد أن نكتفي بأمانته وعزيمته إذا أردنا أن نفهم كل شيء عنه.

وإذا أردنا أن نصحح الأغلاط المكتسبة من الماضي بصدده فيجب علينا في كل حالة من الحالات، لا يقوم الدليل القاطع على ضدها، أن نتمسك بصلابة بصدقه، ويجب علينا أن لا ننسى عندئذ أيضًا أن الدليل القاطع يتطلب لقبوله أكثر من كونه ممكنًا وأنه في مثل هذا الموضوع يصعب الحصول عليه.." محمد في مكة، ص94.

"كلما فكرنا في تاريخ محمد - صلى الله عليه وسلم - وتاريخ أوائل الإسلام، تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل، ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد صلى الله عليه وسلم فأتاحت له فرصًا للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تمامًا، فلو لم يكن نبيًا ورجل دولة وإدارة، ولو لم يضع ثقته بالله ويقتنع بشكل ثابت أن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهمًا في تاريخ الإنسانية، ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام من جديد، برجل هو أعظم رجال أبناء آدم" المصدر نفسه، ص512.

مارسيل بوازار

"لم يكن محمد - صلى الله عليه وسلم - على الصعيد التاريخي مبشرًا بدين وحسب بل كان كذلك مؤسس سياسة غيّرت مجرى التاريخ، وأثرت في تطور انتشار الإسلام فيما بعد على أوسع نطاق.." إنسانية الإسلام ص42.

"منذ استقر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، غدت حياته جزءًا لا ينفصل من التاريخ الإسلامي، فقد نقلت إلينا أفعاله وتصرفاته في أدق تفاصيلها، ولما كان منظمًا شديد الحيوية، فقد أثبت نضالية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي الجنيني، وفي بث الدعوة، وبالرغم من قتاليته ومنافحته، فقد كان يعفو عند المقدرة، لكنه لم يكن يلين أو يتسامح مع أعداء الدين، ويبدو أن مزايا النبي الثلاث، الورع والقتالية والعفو عند المقدرة قد طبعت المجتمع الإسلامي في إبان قيامه وجسّدت المناخ الروحي للإسلام، وكما يظهر التاريخ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائدًا عظيم ملء قلبه الرأفة، يصوره كذلك رجل دولة صريحًا قوي الشكيمة، له سياسته الحكيمة التي تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وتعطي كل صاحب حق حقه" نفسه، ص46.

غوستاف لوبون

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد - صلى الله عليه وسلم - من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا - صلى الله عليه وسلم - مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.." حضارة العرب، ص115.

"استطاع محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى.." نفسه، ص116.

جوتة الأديب الألماني

"إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه "محمد"، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي "محمد" وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح "محمد" الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد".

"مايكل هارت" في كتابه مائة رجل في التاريخ

ويقول في كتابه "مائة رجل في التاريخ": "إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي".

"إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد - صلى الله عليه وسلم - من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا - صلى الله عليه وسلم - مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله.." "استطاع محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على الخصوص.. ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى.."

"إنا كفيناك المستهزئين"

إن انتماء المسلمين إلى دينهم يستوجب منهم أن يقفوا أمام هذا الهجوم على دين الإسلام ورسول الله نبي الهدى والرحمة - صلوات ربي وسلامه عليه - كلٌّ حسب طاقته ومسؤوليته الوقفات التالية:

الوقفة الأولى:

ينبغي أن يعلم هؤلاء أنَّ للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم مكانةٌ عظيمةٌ في دين الإسلام، وأنَّ وجوب محبته في آياتٍ كثيرةٍ في القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" آل عمران:31.

ومنها قوله تعالى: **"قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" التوبة**:24.

وإنَّ من أعظمِ مظاهرِ المحبَّةِ للنبي صلى الله عليه وسلم وأبرزِ دلالاتِ صدقِها أنها تستلزمُ الذَّبَّ عن سُنَّته، لأنها وحيٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

كما أنَّ التَّصَدِّي للمغرضينَ والمستهزئين والمنافقينَ والمنهزمِينَ الذين يترصَّدون للسنة النبوية الشريفةِ ويسخرون منه صلى الله عليه وسلم من أعظم الواجبات في دين الإسلام.

وإن من تمام النصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم -كما في حديث تميم الداري رضي الله عنه الذي يرويه الإمام مسلمٌ في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدينُ النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: "لله ولكتابهِ ولرسولِهِ ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم"، الإيمان بنبوَّة ورسالةِ محمد صلى الله عليه وسلم، ونصرته حياً وميتاً، فمن كان في حياته كان واجباً عليه أن ينصرَه، ومن لم يدركْهُ وجب عليه أن ينصرَه، وذلك بالإيمان به صلى الله عليه وسلم وباتباع سنَّته وطاعةِ أوامرِه واجتناب نواهيه.

ومن لوازمِ النصحِ له صلى الله عليه وسلم العملُ على نشرِ الشريعة الإسلامية والدعوة إليها وتحكيمها، والتمَسُّكِ بآدابها وبما أمرت به ووجهت إليه من تعاليم هذين الوحيين كتابَ الله تعالى وسنَّةَ نبيه صلى الله عليه وسلم، والتحذير من كل ما يسيء إليه وإلى دينه.

ولذا فإنَّ نصر السنة والذب عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعظيم شعائر الله تعالى، و لقد سطَّر أئمتنا الكثير في بيان خطر الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم في مؤلفاتهم، وانظر من تلك الكتب الكتاب العظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية "الصارم المسلول على شاتم الرسول" و"الشفا بتعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض المالكي.

الوقفة الثانية :

أما هذه السخريات والرسومات التي أساءت فيها الجريدتان النصرانيتان فهي جمعت بين أنواع من الشرور، إذ جمعت بين الاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبين الافتراءِ والكذبٍ عليه صلى الله عليه وسلم، إضافةً إلى احتقار مشاعر المسلمين وأحاسيسهم في تلك الديار بل وفي كل أقطار الدنيا، إذ نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم أطهر البشرية جمعاء وأزكاها.

و إن هذه السخرية وهذه الرسوم لا تمثل رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بأي حال، لا رسماً ولا دلالةً، إذ إنها لا تعبر عن معالم وجهه المنيرة، والذي يفيض سماحةً وبشراً وسروراً، كما أنها لا تعبر عن سمته وخلقه صلى الله عليه وسلم.

الوقفة الثالثة:

أين أنتم من الدعاوى البراقة التي تنادي بحقوق الإنسان؟

أليس من حقوق الإنسان عدم السخرية و الاستهزاء بما يعتقده؟

أم أن المسلمين في أنحاء العالم عندكم ليسوا من بني الإنسان؟

و بالتالي لا تشملهم الحقوق!

بل انظروا لأنفسكم كيف تعاملون الحيوان؟!!

ثم قارنوا بتعاملكم أين أنتم من مراعاة مشاعر المسلمين واحترام معتقداتهم؟

الوقفة الرابعة:

إن موقف هاتين الجريدتين المخزي أكبر دعم للإرهاب الدولي المنظم الذي عقدت لمحاربته مؤتمراتٌ ولقاءاتٌ، مع الاختلاف في تحديد مفهومه لأنَّ المسلم قد لا يستطيع ضبط نفسه مع هذا التحدي السافر للإسلام وأهله وعندئذٍ نتساءل:

أليس بالجدير بأن يدرج من يسلكُ هذا السبيل ويسخر بدين الإسلام ونبيه ويشجِّع على ذلك الإرهاب بأن تتخذ ضده القرارات الدولية لأنه مغذٍ للإرهاب؟

ثم ما دامت الشعارات الدولية تنادي بتجفيف موارد الإرهاب، أليس من مهامها تجفيف كلَّ موارده بأنواعها وأشكالها؟

ولا شك ولا ريب أن هذا المورد من أشد موارده، وهو أخطر بكثير من الموارد المالية، لأنها من أعظم الدوافع له.

الوقفة الخامسة:

إنَّ ادعاء صحيفة (Jyllands-Posten) حرية التعبير في نشرها لتلك الرسوم الساخرة عن محمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ادعاءٌ غير مسلَّمٍ ولا مقنعٍ؛ لأن منظمات العالم تؤكد على احترام الرسل، وعلى احترام الشرائع السماوية، واحترام الآخرين وعدم الطعن فيهم بلا بيِّنة، ولذا فإنَّ الحرية المزعومة فيها انتهاكٌ لدين الإسلام، وسخريةٌ برسول الله وإخلالٌ بحقوق الآخرين.

ولهذا فقد استُنكِرَ هذا العمل الشنيع الذي يعدُّ استخفافاً بدين الإسلام الذي يدين به ملايين المسلمين في أنحاء العالم، فقام المسلمون من دولٍ ومجالس ووزراء و هيئاتٍ و جمعياتٍ عدةٍ و أفراد باستنكار هذه الحملة الظالمة.

إننا معشر المسلمين نوجه دعوةً إلى هؤلاء المستهزئين برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، وإلى غيرهم من غير المسلمين لأن يمتِّعوا أعينهم وفكرهم بالإطلاع على الحقائق من خُلُقِهِ وصفاته، من خلال الكتب في شمائل النبي وصفاته مما كتبه أهل الإسلام، مما هو مسطورٌ في كتب السنة والسيرة، وإن أبيتم فاقرؤوا ما كتبه عددٌ من أهل الإنصاف عن نبيِّ الرحمة والهدى صلى الله عليه وسلم من عقلاء البشر ومثقفيهم، حتى من أهل الملل الأخرى ممن شهدوا له بمكارم الأخلاق والفضائل الجمَّة.

وليعلم المستهزئون وأمثالهم أنَّ الله عز وجل متكفلٌ بحفظ دينه وحامٍ لحمى رسالته، ولن تضير نبيه صلى الله عليه وسلم سخرية الساخرين واستهزاء المستهزئين، فقد كفاه الله ذلك كله، كما قال سبحانه: (إنا كفيناك المستهزئين).

وقد قال العلَّامة ابن سعدي رحمه الله: "وهذا وعدٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أنْ لا يضرّه المستهزئون، وأنْ يكفيهم الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل الله تعالى، فإنَّه ما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلَّا أهلكه الله وقتله شر قتلة".

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

إعلام النبلاء بقول السادة المالكية الفقهاء في حكم شاتم الأنبياء

أبو عبد الرحمن ذو الفقار بلعويدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

فجأة صار الوضع متغيرا، ومن غير تواطؤ مسبق أو اتفاق مبيت أضحى التصعيد سيِّد الموقف في أغلب العواصم الإسلامية، بسبب الرسوم الساخرة "الكاريكاتير" التي تعرضت لجناب النبي صلى الله عليه وسلم قصد الإساءة له والانتقاص منه، والاستخفاف به والغض من قدره، وإلحاق الأذى بأتباعه.

وإذايته صلى الله عليه وسلم باختلاف صورها وأشكالها، سواء كانت بالسيف أو باللسان، أو بالإشارة والبنان، فهي من أشد أنواع المحاربة و الفساد، وصدق الله القائل: "لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى" وقوله عز وجل: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً" وقوله جل وعلا: "إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ".

إن البعد العقدي المطلوب إدراكه من هذا البيان الإلهي هو عدم تغيُّر طبيعة وموقف اليهود والنصارى "وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ.."، فهذه صفة لازمة لهم، تحرِّك طويتهم، وتحكم تصرفاتهم، وتوحد هدفهم، فالعداء هو العداء، في كل زمان وفي كل مكان، وإن تغير الأشخاص وتبدلت الوسائل وتوالت الأزمان.

ولقد اشتدت اليوم غربة الإسلام وعاد كما بدأ، ومن أبلغ مظاهرها فشو ظاهرة الإستهزاء والسخرية بثوابت الإسلام، وحادثة كتابة آيات قرآنية على جسد باغية عارية -في فيلم لمخرج سينمائي هولندي- ليست عنا ببعيد.

وها قد أطلت علينا رسوم ساخرة برسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم، نشرتها صحيفة دنماركية، ووقفت بجانبها معظم دول الغرب تساندها مبررة صدورها في إطار حرية التعبير، وهو أمر لا يثير الاستغراب، لكن الأمر الأنكى والأخطر أن تجري مثل هذه الشبهات على لسان أبناء أوطاننا وفلذات أكبادنا، حيث فاه أحدهم بمقالة "ضرار" وذلك بقوله: "إن هذا الأمر لا يستدعي كل هذه الحركة، لأنهم لا يشاركوننا فيما نعتقده تجاه الرسول محمد، وهذا التصعيد هو محاولة منع غيرنا من ممارسة حريته الشخصية في التعبير، وإلزامه بما لا يجوز إلزامه به"، وإذا أحسنا الظن بصاحب هذه القولة، فأقل ما يقال عنها، أنها مغالطة واضحة، ناشئة عن سوء فهم صاحبها، وسفاهة ذهنه، ومرض قلبه، وخوار عقيدته، وفقدانه لمناعته الفكرية، فهو قد خلط بين قضية معاشرة المسلمين الكفارَ وإقرارهم على ما هم عليه من كفر ورفضهم لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم. وبين قضية إشهار الكفار الإذاية له صلى الله عليه وسلم وإظهارهم إساءته، وذلك حين عجز عقله عن إدراك أن الإساءة والإذاية أمر زائد عن الكفر، لأن الكفر يكون بغير الإساءة، ولا تكون الإساءة إلا عن كفر.

إن ثمة فرقا كبيرا بين أن نسالمهم ونعايشهم على ما هم عليه من كفر بديننا ورفض لمعتقدنا، وبين أن نعايشهم ونسالمهم على إساءتهم وإذايتهم وتطاولهم على مقدساتنا، ورحم الله الإمام مالك بن أنس ولله دره حين سأله الرشيد عن رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم، أجاب بقوله: "ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها، من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد" الشفا 237/2، رحمك الله يا إمام، فرسول الله أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا وأزواجنا ومن الناس أجمعين، والطعن فيه عندنا أعظم من الطعن فيمن سواه، وإذا كانت النصرة من أخص خصائص المحبة، كانت الإساءة له ونحن أتباعه هي إساءة لنا، وعدم انتصارنا له يقتضي عدم أو ضعف وهزالة محبتنا وولائنا له.

إن هذه الحركة وهذا التصعيد وهذه الانتفاضة التي قامت بها الشعوب الإسلامية، وما تضمنته من دعوة إلى المقاطعة الإقتصادية، انتصارا لنبيها بسبب ما لحقها من أذى في حقه صلى الله عليه وسلم، هو في حقيقته لا يتجاوز حد التعبير عن ضعفها وعدم قدرتها على الإقتصاص ممن نال من نبيها، لولا أن صاحبَها جانبٌ مشرقٌ كشف عن حقيقة المسلمين الذين أكدوا أنهم يعيشون همَّ إسلامه ويخافون ضياعه، مما يلقي على كاهلهم تبعة معرفة مهمتهم وإدراك ما يجب عليهم فعله، وذلك حتى لا تبقى هذه الإنتفاضة منحصرة في كونها مشاعر حماسية تنطفئ بسرعة كما تشتعل بسرعة، إنه ظن خادع كاذب عندما نظن أننا قد استوفينا حقنا بهذه الانتفاضة، إنها في الحقيقة بداية وليست نهاية، ولن تكون انتفاضة بناءة إلا إذا كانت نقطة انطلاق عودتنا إلى السلوك الإسلامي السوي، ونهوضنا من الكبوة، واسترداد الثقة في ما بيننا.

أما عن حكم المسيء للنبي صلى الله عليه وسلم عند فقهاء المسلمين وبخاصة الإمام مالك وتلامذته فهو لا يحتمل التأويل لوضوحه ونصاعته.

قال أبو مصعب وابن أويس (سمعنا مالكا أنه يقول: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل، مسلما كان أو كافرا، ولا يستتاب) الشفا 230/2 والصارم المسلول 572/3. وقال أشهب (من سب النبي من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب) (الشفا 2302 والصارم المسلول 5733 قال القاضي عياض): وفي كتاب محمد: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب(الشفا 268/2 والصارم المسلول 573/3). وهذا القول هو قول أبي القاسم بن الجلاب، والوليد بن مسلم، والقاضي عبد الوهاب، وأبي مروان عبد الملك بن حبيب، وابن الماجشون، ومحمد بن سحنون، وأسبغ بن الفرج، و محمد بن عبد الحكم... وغيرهم كثير.

وننبه حتى لا يصطاد العلمانيون في الماء العكر فإن إجراء العقوبات على المذنبين ليس موكولا بحال لعامة المسلمين وآحادهم، وإنما هو من خصائص ولاة الأمور ومن يقوم مقامهم كهيئة القضاء.

وهل هناك دين أو مذهب أو عرف يعتبر الإستهانة والسخرية بمقدساته حرية يعبث بها السفهاء؟ إنها الهزيمة النكراء عندما نحاول أن نزين صورتنا الإسلامية في نظر الأعداء بما يهواه الأعداء.

وأي حرية تكمن في إذاية الآخرين لديننا ونكايتهم بمقدساتنا؟ إننا لا نريد حرية تورث ذلا وضعفا وهوانا، إنما نريد تحررا يورث هيبة وعزة وسلطانا، نريدها حرية حياة نحياها بوحينا وإرادتنا ووفق ما يمليه علينا ديننا، لا حرية حياة تكون وفق ما تمليه علينا الدول الغربية، نريد حرية العفة والطهارة والصدق ونصرة الحق ونشر الفضيلة، لا حرية الممارسة الجنسية (الزنا، اللواط، السحاق)، وتعميم الفساد ونشر الرذيلة والخطابات السخيفة، نريدها حرية تحقيق الهوية والثبات على المبدإ وتصحيح الانتماء، لا حرية التمرد على العقيدة وتمييع الفكر وذوبان الشخصية وانفلات الأخلاق، نعم نريدها حرية تستسقي أصولها من القرآن وصحيح البخاري وصحيح مسلم وموطأ مالك..، لا حرية العلمانيين المستوردة من فكر الإلحاد والحرب على الدين، فحريتنا لها حدود تحمينا وضوابط تحكمنا وقواعد تكبح جماح حماسنا "ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم".

أو لم يأن لدعاة حريةِ فقدانِ الهويةِ أن يدركوا أن ظروف الغربيين غير ظروفنا، ومشاكلهم غير مشاكلنا، ودينهم غير ديننا، وما يصلح لهم غير ما يصلح لنا، وتاريخهم يشهد -مقابل تاريخنا- أن حلولهم أقل فعالية من حلولنا، وهذا يُلزم فعاليات الأمة الإسلامية -خاصة علماؤها- أن يسعوا جاهدين في إعادة وضع سياج يصون هيبة الأمة ويحفظ حماها ويحمي حرماتها ويضمن أمنها، ويردع المتطاولين على مقدساتها.

إن النظام الإسلامي منهج متكامل، يعتمد في تقويم السلوك البشري - أفرادا وجماعات - على اعتبار طبيعة مكونات خلقته النفسية، وذلك لتحقيق التوازن.

نعم الوقاية خير، لكن إذا ما استفحل الداء فلا بد من العلاج، والعلاج إما تأديب أو عقوبة، وإذا انعدمت العقوبة سادت الفوضى وعمَّ الفساد باسم الحرية، وكما قيل "بالعقوبات تحفظ الحريات"، والعقوبة تكون بحسب قدر الجناية، وعلى هذا المبدإ كان مذهب إمام مالك صارما في أحكامه المتعلقة بالمسيء للنبي صلى الله عليه وسلم. لأن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزيره وتوقيره واجب ومؤكد في الدين، وما هذه الجرأة على مقدساتنا وثوابت ديننا من طرف أعدائنا، إلا نتاج التهاون في القيام بهذا الواجب وحماية حصنه، ومن تأمل علم أن لا حل لهذه المشكلة إلا بمبادرة الأخذ على يد من تسول له نفسه المساس بمقدساتنا، ابتداء بمن يحسبون علينا وهم أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وذلك بمعاقبة المسيئين والشاتمين، ليرتدع أمثالهم ويكف غيرهم ويكونوا عبرة لمن دونهم.

نعم لو أخذ أولا على يد أبنائنا لما تجرأ هولندي ولا دنماركي ولا بريطاني، فإنه لم يتجرأ الخصوم والأعداء إلا بعد استخفاف وجرأة الأبناء، ومحاولة إصلاح الفرع مع فساد الأصل حماقة وجنون.

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله)

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

الكوارث والآفات

بقلم: سعيد البحراوي

لازال أدعياء التقدم ومرضى القلوب والمهووسون بالغرب حديثا وبالشرق الشقي قديما يسمون الإسلام بالقصور بكل صفاقة في حل المشاكل والمعضلات المستجدة، ومنه ما ذكر أخيرا عن الكوارث الطبيعية والآفات الطارئة وخلوه من حلول علمية وعملية في هذا الأمر.

ألا فليعلموا أن الشرع قد أوصى:

أولا: بالحذر من هذه الكوارث، وتجنب أسبابها القريبة والبعيدة ما أمكن.

و من ذلك النهي عن ركوب البحر وقت ارتجاجه.

والتحذير من ترك النار في المنازل، والحث على إطفاء السرج عند النوم.

كقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا نمتم فأطفئوا سرجكم" وقوله "من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة".

فهذه أحاديث وغيرها كثير تؤسس لقاعدة الوقاية من الحرائق والكوارث والتحفظ من أسبابها المختلفة وتجنبها ما أمكن.

ومن ذلك ما جاءت به الشريعة الإسلامية من الأمر بالمحافظة على الصحة البدنية والعقلية فقد أمر الشرع بالتداوي من الأمراض، وعدم الاستسلام لها حتى تفعل فعلها في المريض، فتورثه عجزا أو عاهة، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل". لأن العجز يزيد الفقر والفاقة والحاجة.

ومن ذلك تجنب المخاطر، يدخل فيه ما جاء به الإسلام من النهي عن المخاطرة بالمال والتغرير به، وتعريضه للخسارة والتلف والضياع، كقوله صلى الله عليه وسلم "**لا ضرر ولا ضرار**".

ونهيه عن بيع الثمار قبل طيبها ونحو ذلك.

ثانيا: يحمل الإسلام المتسببين في تلك الكوارث والمقصرين في درئها والمتنعين من عمليات الإنقاذ فيها، كامل المسؤولية المالية.

انطلاقا من:

قوله تعالى: "فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ".

قاعدة: العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

قاعدة: المتسبب كالمباشر.

قاعدة: الترك كالفعل.

ثالثا: الإسلام يقرر وضع الجوائح عن المصابين بها: عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن بعت من أخيك تمرا فأصابتها جائحة، فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا، بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟

رابعا: فإن الإسلام رصد موردا من موارد الزكاة لإنقاذ الغارمين ومساعدتهم على أداء ديونهم، والتخلص من أزماتهم، وتعويض المصابين منهم بالجائحة.

كما جاء في قوله تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".

"قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ"

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى.

فلو يُعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخَلِيُّ حُرقة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ" آل عمران، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه.

تفسير الآية

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" ولهذا قال: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: "قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" تفسير ابن كثير 477/1.

حقيقة المحبة في الاتباع والتسليم

"اعلم أن من أحب شيئاً آثره و آثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مدعيا، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره و يسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ".

وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته، قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" الحشر، وإسخاط العباد في رضا الله تعالى .

فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها".الشفا22/2.

ورضي الله عن الفاروق عمر إذ يقول للحَجَر الأسود: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك".

يقول الحافظ ابن حجر: "وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه "(فتح الباري463/3).

ويقول قوام السنة إسماعيل الأصفهاني رحمه الله: "ومن مذهب أهل السنة: أن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله، فعليه التسليم والتصديق والتفويض والرضا، لا يتصرف في شيء منها برأيه وهواهس الحجة في بيان المحجة (435/2).

وختاما نقول:

من علامة المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره فمن ادعى محبة الله وخلاف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب، وكتاب الله يكذبه.انظر "البحر المحيط" لأبي حيان رحمه الله في تفسيره الآية.

من ادعى محبة اللـه ولم ... يَسِر على سنة سيد الأمم
فذاك كذاب أخو مَـلاهِ ... كذَّب دعـواه كتابُ الله

الاحترازوسوء الظن

حراسة الدين مسؤولية عظيمة ملقاة على العلماء والدعاة إلى الله عز وجل "لأن من بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان".

ومِن ذلك التمييز بين الشيئين المتشابهَين صورةً، المختلفين معنى وحقيقة، ففي أحدهما ما يحبه الله ورسوله، وفي الآخر على نقيضه ما يبغضه الله ويبغضه رسوله.

وفي ذلك تحقيق للحق وإزهاق للباطل.

ومنه الخلط بين معنى الاحتراز وهو مطلب شرعي وبين سوء الظن وهو خلق مرذول.

يقول إمام هذا الفن ابن القيم في كتابه الروح (406):

"المحترز كالمتسلح المتدرِّع الذي قد تأهب للقاء عدوه وأعد له عدته، فهَمُّه في تهيئة أسباب النجاة، ومحاربة عدوه قد أشغلته عن سوء الظن به، وكلما ساء به الظن أخذ في أنواع العدة والتأهب.

وأما سوء الظن: فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه، فهم معه أبدا في الهمز واللمز، والطعن والعيب، والبغض، يبغضهم ويبغضونه، ويلعنهم ويلعنونه، ويحذرهم ويحذرون منه.

فالأول: يخالطهم ويحترز منهم.

والثاني: يتجنبهم ويلحقه أذاهم.

الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز.

والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض".

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

حب المصطفى صلى الله عليه وسلم يقتضي معرفة شمائله

معرفة شمائل الحبيب صلى الله عليه وسلم تستدعي كمال الإيمان به عليه الصلاة والسلام وزيادة المحبة، إذ الإنسان مطبوع على حب الجميل، خَلقاً وخُلقاً، علماً وعملاً، حالاً واعتقاداً ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم، وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً.

نسبه صلى الله عليه وسلم:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معدّ بن عدنان. هذا هو المتفق عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم ، واتفقوا أيضاً على أن عدنان من ولد إسماعيل.

مبعثه صلى الله عليه وسلم :

بعث صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة، فنزل عليه الملك بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وكان إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه وتغيرّ وجهه وعرق جبينه .

فلما نزل عليه الملك قال له: اقرأ .. قال: لست بقارئ فغطاه الملك حتى بلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ .. فقال: لست بقارئ ثلاثاً . ثم قال: ″اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم″.

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خديجة رضي الله عنها يرتجف فأخبرها بما حدث له، فثبتته وقالت: أبشر، كلا والله لا يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الدهر.

صبره صلى الله عليه وسلم على الأذى :

لقي صلى الله عليه وسلم الشدائد من قومه وهو صابر محتسب، فلما خشي على أصحابه من فتنة التعذيب أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة فراراً من الظلم والاضطهاد فخرجوا.

رحمته صلى الله عليه وسلم بقومه :

فلما اشتد الأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، خرج رسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف فدعا قبائل ثقيف إلى الإسلام، فلم يجد منهم إلا العناد والسخرية والأذى ورموه بالحجارة حتى أدمو عقِبَيه، فقرر صلى الله عليه وسلم الرجوع إلى مكة .

قال صلى الله عليه وسلم: (انطلقت -يعني من الطائف- وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب -ميقات أهل نجد- فرفعت رأسي، فإذا سحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أرسل لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال: يامحمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - جبلان بمكة- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ..... متفق.

صفته:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة، ليس بالطويل، ولا بالقصير، أزهر اللون -أي أبيض بياضاً مشرباً بحمرة- أشعر، أدعج العينين - أي شديد سوادهما - أجرد - أي لا يغطي الشعر صدره وبطنه - ذو مَسرُبة - أي له شعر يكون في وسط الصدر والبطن.

أخلاقه:

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وأصدقهم لهجة، وألينهم طبعا، وأكرمهم عشرة، قال تعالى : {وإنك لعلى خلق عظيم} وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأعف الناس وأكثرهم تواضعا، وكان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، يقبل الهدية ويكافئ عليها ولا يقبل الصدقة ولا يأكلها، ولا يغضب لنفسه، وإنما يغضب لربه، وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ماوجد، ولا يردُّ ما حضر، ولا يتكلف ما لم يحضره، وكان لا يأكل متكئاً ولا على خوان، وكان يمر به الهلال ثم الهلال ثم الهلال، وما يوقد في أبياته صلى الله عليه وسلم نار، بأبي هو وأمي، وكان صلى الله عليه وسلم يجالس الفقراء والمساكين ويعود المرضى، ويمشي في الجنائز .

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح لا يقول إلا حقاً، ويضحك من غير قهقهة وكان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله، قال: **(خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهله)** رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله، ألا فعلت كذا !!

فضله صلى لله صلى الله عليه وسلم :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة) متفق عليه.

عبادته ومعيشته صلى الله عليه وسلم :

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتفطر قدماه، فقيل له في ذلك، فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) متفق عليه .

وقالت: كان ضِجاعه الذي ينام عليه في الليل من أَدم محشواً ليفاً!! وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظلُّ اليوم يلتوي ما يجد دقلا يملأ به بطنه -والدقل رديء التمر- ما ضرّه من الدنيا ما فات وهو سيد الأحياء والأموات، فالحمد لله الذي جعلنا من أمته، ووفقنا الله تعالى لطاعته، وحشرنا مسلمين متبعين لسنته آمين آمين.

مع كل محنة منحة

قال تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليه) التغابن.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ″هذا عام لجميع المصائب في الأنفس والمال والولد... إلى أن قال: فإذا آمن العبد أنها من عند الله فرضِيَ بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري ممن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذك ثواب عاجل مع ما يُدخِر له يوم الجزاء من الأجر العظيم كما قال تعالى: ″إنما يُوَفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب″.

إنّ الأمراض والآلام والهموم والفقر والشدة كلها خير للعبد علم أو لم يعلم كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ″تأملت المرض فوجدت فيه أكثر من مائة فائدة فهو كفارة للخطايا ورفع للدرجات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ″مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلاّ كفر الله بها من خطاياه″. متفق عليه.

فالنصَبُ: التعب، والوصب: المرض، فإنّ الأمراض ونحوها من المؤذيات التي تصيب المؤمن، مطهرة من الذنوب، وأنه ينبغي للإنسان أن لا يجمع بين المرض أو الأذى مثلا وبين تفويت الثواب.

قال النووي رحمه الله تعالى -بعد أن أورد عدة روايات في الباب-: ″وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شيء من هذه الأمور، وفيه تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها، وفيه رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات″ شرح النووي على مسلم 16/128.

ومن فوائد المصائب أنّ العبد يكون في تلك الحال منكسراً، مضطراً فيتوجه إلى الله عز وجل أن يزيل همه ويكشف غمه وينفس كربته فيجتمع بكليته فيدعو دعاء من قال الله فيه: ″أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء″، ومن فوائدها أنّ العبد يقف مع نفسه وقفة محاسبة ويتساءل أنَّى هذا فيتفقد مواطن الزلل كما قال الله عز وجل: ″وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير″، فيرجع إلى رحاب التوَّاب الرحيم مجدداً التوبة والإنابة.

ومن فوائدها أن يتذكر العبد أنّ مشئية الله عز وجل في العبد نافذة، وأن قدره واقع لا محالة لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره. ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو أجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه. وأنّ ما أخطأ العبد لم يكن ليصبه وما أصابه لم يكن ليخطئه، فيسلم بذلك فتزيد عليه الفوائد أجراً و إيماناً، إذا مُسّ بالسراء عم سرورها وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر وما منهما إلا له فيه حكمة ضاقت لها الأوهام والبر والبحر، وإذا أصيب العبد بفقد حبيب أو موت قريب فتجمل عند ذلك وتذكر مصابه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن ″كل نفس ذائقة الموت″ واسترجع واحتسب عوَّضه الله إيماناً يجده في قلبه، فلما رضي عن الله عز وجل رضي الله عنه.

وإنّ مما يخفف المصائب ـ بعد علم العبد أنها بإذن الله ـ أن يتصبر ويتذكر أن الفرج مع الشدة وأن مع العسر اليسر كما قال تعالى: ″فإنّ مع العسر يسراً إنّ مع العسر يسرا″.

بشارة نبوية :

من تمسك بها وتذكرها لا سيما عند الصدمة الأولى فاز وسعد سعادة لا يعلم بها إلا من عمل بها وهي قول المصاب: ″إنا لله وإنا إليه راجعون″، يقول القرطبي في المصيبة: ″هي كل ما يؤذي المؤمن، ويصيبه، وقد جعل الله عز وجل، كلمات الاسترجاع، وهي قول المصاب: ″إنا لله وإنا إليه راجعون″ ملجأ وملاذاً لذوي المصائب، وعصمة للممتحَنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيّج ما سكن، ويظهر ما كمن، لأنه إذا لجأ لهذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة، فإن قوله: ″إنا لله″ اقرار بالعبودية والملك، واعتراف العبد لله بما أصابه منه، فالملك يتصرف في مُلكه كيف يشاء، وقوله: ″وإنا إليه راجعون″ إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا، فله الحكم في الأولى، وله المرجع في الأخرى، وفيه كذلك رجاء من عند الله بالثواب.

ومن بركة هذا الاسترجاع، بالإضافة إلى ما ذكر، ما ورد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ″ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله به: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرْني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلفه الله خيراً منها″ فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أني قلتها فأخلف الله علي برسول الله صلى الله عليه وسلم″.

ولا عجب فإنه إخبار من لا ينطق عن الهوى ″إن هو إلا وحي يوحي″ وما على العبد إلا التصديق والعمل بهذه البشارة.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: ″ونؤمن باللوح والقلم وجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه″.

ربنا لاتجعل مصيبتا في ديننا.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

أسـبـاب سقـوط الأنـدلـس

إن المسلمين بالرجوع إلى الإيمان الصادق بالله، والتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وإيثار الآخرة على متاع الدنيا الزائل، وإعمال أصل الولاء والبراء يستطيعون أن ينهضوا ويمنعوا ضياع أندلس أخرى، وأخرى بعد أن أضاعوا الكثير، والله المستعان على لمِّ الشعث وجمع الكلمة وتأليف القلوب وما النصر إلا من عند الله.

إعداد
إبراهيم الوزاني

هل رأيتم تلك القصور الجميلة.. والحدائق البديعة.. والمساجد الشامخة عبر الزمن.. هل رأيتم الزهراء.. وقرطبة.. هل رأيتم إشبيلية وغرناطة.. هل رأيتم.. ورأيتم.. إنها بلاد الأندلس.. الفردوس الذي فقدناه منذ خمسة قرون، البلاد التي فتحها طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة (92هـ)، وسلم آ خر مفاتيح الحكم فيها أبو عبد الله محمد آخر ملوك بني الأحمر سنة (897هـ).

لقد مرت دولة الأندلس في حكمها بعصور، أولها: عصر الولاة الذي برز فيه عبد الرحمن الغافقي الذي واصل الفتوح في أوربا حتى وصل بالقرب من باريس إلى أن أوقفه التحالف الصليبي، وهزمه في معركة بلاط الشهداء، ثم تأتي الدولة الأموية بالأندلس والتي تعد أزهى العصور جميعًا وأطولها، وقد أسسها عبد الرحمن الداخل المعروف (بصقر قريش)، الذي قام بأعمال عسكرية كثيرة حتى يوطد حكمه في قرطبة، ثم بدأ يسيطر على ما حولها من مدن الأندلس، تعاقب بعده على حكم الدولة تسعة حكام، وفي عهد هشام الثاني استولى على الحكم المنصور بن أبي عامر إلى أن أسقطت الدولة الأموية عام (422هـ).

سقطت الدولة الأموية بالأندلس لتبدأ عصور الضعف بعصر دول ملوك الطوائف، حيث توزعت الأندلس على الأمراء فبنى كل منهم دويلة صغيرة، وأسس فيها أسرة حاكمة من أهله وذويه، وبلغت هذه الدويلات أكثر من عشرين دويلة كان يسودها الاضطراب والفوضى والفتن، وكانت هذه فرصة سانحة لكي يقوى شأن النصارى الإسبان، وتفاقم الأمر بسقوط طليطلة في يد النصارى سنة (478هـ) فأسرع المعتمد بن عباد أمير دولة بنى عباد يستنجد بدولة المرابطين في المغرب، واتفق مع يوسف بن تاشفين على مواجهة النصارى، وبالفعل استطاع المسلمون تحقيق نصر عسكري كبير على النصارى في موقعة الزلاقة، وما لبث المرابطون حتى استولوا على حكم الأندلس، وهى دولة مجاهدة استطاعت إنقاذ الأندلس من السقوط مدة من الزمن، إلى أن ضعفت وتهاوت لترثها دولة الموحدين الذين واصلوا حماية الأندلس بانتصارهم على النصارى في موقعة الأرك، واستمرت الأعمال العسكرية بينهما حتى أخذ الموحدون ضربة قاسية بهزيمتهم في معركة العقاب، وكانت هذه الهزيمة من أسباب تحطيم الوجود الإسلامي في الأندلس كلها فقد سقطت دولة الموحدين وسقطت إشبيلية، وتهاوت كثير من المدن الأندلسية أمام زحف النصارى، سقطت سرقسطة سنة (512هـ)، وبعدها مرسية سنة (633هـ) وتبعتها المرية، ومالقة، وبلنسية، ولشبونة وأصبح حكم المسلمين محصورًا في غرناطة التي أسس عليها بنو الأحمر أو بنو نصر دولة حكمت قرابة قرنين ونصف، حتى تهاوت هي الأخرى وبسقوطها تم سقوط الأندلس سنة (897هـ).

إن تاريخ الأندلس تاريخ مليء بالدروس والمواعظ والعبر، وأهم هذه الدروس التي يجب أن نقف معها هي عوامل سقوط هذه الدولة.. لأننا نعتقد جازمين أن دراسة التاريخ ليست قصصاً مجردا، أو لترويج الفكر بقراءة دول الأقدمين وكأن حاضرنا مقطوع الجذور، فإن الدول تتشابه في نشوءها وهرمها وسقوطها، فلو عرفنا العلل التي تصيب الدول ربما نستطيع أن نصحح في حاضرنا ما أخطأ فيه الأقدمون في ماضيهم.

إن أي دولة تقوم في التاريخ، لابد ولها عقيدة يؤمن بها أفرادها لكي تخلق في نفوسهم حبها والإستماتة في الدفاع عنها، ومن ثم قهر أعدائها وتوسعها.. هذا ما عبر عنه ابن خلدون في "مقدمته" بعنوان العصبية التي قد تكون ناشئة عن القبلية أو الدين وهذا ما نعبر عنه في الوقت الحاضر بالإيديولوجية .. فلو أخذنا تاريخ العرب قبل الإسلام لرأينا مثلاً أنهم كانوا قبائل مشتتة متحاربة يأكل قويها ضعيفها، تفشت فيه العصبية ولكنها على مستوى القبيلة، فكان الفكر القبلي قادراً أن يجمع القبيلة الواحدة أو حليفاتها ولكنه لم يستطع أن يخلق منها أمة، إلى أن جاء الإسلام وجمع العرب تحت راية التوحيد، واستطاع أن يبعث في قلوبهم حبّ هذا الدين والذبّ عنه والجهاد في سبيله، فخلق منهم أمة متآلفة تجمعها آصرة العقيدة أكثر مما تجمعها آصرة القرابة، أي بالتعبير الحديث: أوجد لهم الإسلام العروة الوثقى التي تنتظم شتاتهم، والتي استطاعت أن تجمعهم وتوحد جهودهم نحو الهدف وهو إعلاء كلمة الله ونشر كلمة التوحيد، فكان أن فتح المسلمون البلاد وقضوا على إمبراطورية فارس، وشلوا إمبراطورية الروم لزمن طويل، وكانوا على أبواب فتح أوربا لولا الخلاف والفشل والتنازع الذي أدى إلى اندحارهم، وتلك سنن الله التي تعم تاريخ المجتمعات والدول والحضارات.

ولكن أصاب المسلمين ما أصاب غيرهم من الأمم فضعفت الحمية الدينية في قلوبهم وركنوا إلى الدنيا، وبالتدريج دبّ الوهن والخلاف والتنازع.

وهكذا نسي المسلمون أحكام دينهم وتعاليم قرآنهم وتوصيات نبيهم الواحدة تلو الأخرى.. فتسلط حكام الجور عليهم.. وبالتدريج تحول الجهاد إلى صراع بين الدول والممالك لحفظ الملك، فاختل نظام الدولة وبرزت الفتن في كل مكان وتقاتل المسلمون مع بعضهم البعض واستعانوا بالمشركين على المسلمين.

إنهم بعبارة أخرى.. ذهبت من نفوسهم الحمية على الدين وركنوا إلى طموحاتهم الذاتية وأهدافهم الصغيرة، وباعوا أخراهم بدنياهم، وأصابهم الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت)، ولما لم يكن هناك عصبية أخرى غير الدين تجمعهم.. فقدوا الهدف وغامت عليهم السبل.

وبينما المسلمون في غفلتهم عن ضعفهم وما يكال لهم.. بدأت الأمم الأخرى في الظهور والصعود وكانت عصبيتها من نوع آخر (أي أيديولوجيتها بالتعبير الحديث) فالإسبان على سبيل المثال ظهرت فيهم الروحية القومية مدعومة بالحمية الدينية لتطهير إسبانيا من المسلمين الكفرة (بزعمهم)، مضافاً إليها الطمع في الغنائم والأسلاب، فاتفقت ممالك الإسبان رغم اختلافها.. جمعتهم عصبية الهدف المشترك والمصالح المشتركة فصاروا قوة كبيرة لم يستطع المسلمون الوقوف في وجهها لأنهم فقدوا حميتهم لدينهم الذي خلق منهم أمة متماسكة لا ينال منها عدوها، إلا إذا فرطت في عوامل تماسكها، فالإيمان والحمية لنصرة الدين هو أهم العوامل الذي يخلق القوة لتذليل الصعاب ويبعث على تفجير الطاقات ويمكن من تذليل السبل لرفع الظلم والحيف، وإيجاد الطريق للأخذ بأسباب القوة والمنعة، فالمسلمون باختلافاتهم العرقية والقومية والطائفية لا يمكن أن توحدهم عقيدة أخرى غير عقيدة الدين الذي يبعث في نفوسهم الإيمان، ويجعل بذل النفس غاية في سبيل إعلاء كلمة الله.

لقد عانت الدولة الإسلامية في الأندلس منذ سقوط الخلافة بها من تسلط الملوك والقادة الذين كانوا يرون الإنفراد بمملكة من الممالك غاية النصر .

إن عوامل سقوط الأندلس أساسها ضعف العقيدة، والانحراف عن المنهج الصحيح، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

ـ أولا : الصراع العنصري الجنسي حول الحكم.

ـ ثانيا: ارتفاع رايات متعددة بعيدة عن راية الإسلام الواحدة المتصلة بالنفوس والأفئدة.

ـ ثالثا: استعانة الممالك بأعدائهم الصليبيين ضد بعضهم البعض، بعد أن نقضوا أصل الولاء والبراء، السيف المسلول دائما ضد الأعداء.

ـ رابعا: الركون إلى الدنيا، وإصابة القلوب بالوهن.

إن سرد أحداث ضياع الأندلس تدمي القلب، وتكلم النفوس، وتفطر الأفئدة، وتدمع العين، على تاريخ حضارة، وأمة تهاوت وتحاتت كما تحات أوراق الشجر.

آخر لحظات الحكم الإسلامي بالأندلس

أفاق المسلمون (في عهد آخر ملوك بني الأحمر أبي عبد الله) من غفلتهم المؤلمة على جيوش الصليبيين بقيادة "فرديناند" (ملك الأرجوان)، و"إيزابيلا"(ملكة قشتالة) تملأ عليهم الوديان والسهول، فخاض المسلمون معارك طاحنة هائلة دفاعاً عن وجودهم وكيانهم الأخير، ولكن هيهات هيهات لقوم فقدوا أسباب الانتصار وتوافرت فيهم عوامل الهزيمة أن ينتصروا.

وبالفعل سقطت غرناطة في 21 محرم سنة 897هـ كآخر معقل للإسلام بالأندلس، وعقد آخر ملوكها أبو عبد الله معاهدة التسليم مع الصليبيين وهي مكونة من سبعة وستين شرطاً منها تأمين المسلمين على دينهم وأموالهم وعقيدتهم وحرياتهم ـ مع العلم أنه لم يتم تنفيذ شيء من هذه المعاهدة ـ وكان آخر العهد بأبي عبد الله أن وقف بسفح جبل الريحان حيث سلَّم الملكين النصرانيين مفاتيح المدينة يبكي على ملكه الضائع. هنا قالت له أمه عائشة الحرة المقولة الشهيرة: "إبك مثل النساء مُلكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال".

نسيت عائشة الأم أنها كانت سبباً هاماً لسقوط غرناطة آخر معقل للإسلام في الديار الأندلسية بسبب غيرتها وتسلطها على ولدها أبي عبد الله، وأحابيل مكرها التي كانت تنسج شباكه في جوانب القصر وغرفه.

وهكذا غادر أبو عبد الله آخر سلاطين بني الأحمر غرناطة، تاركاً أهلها المسلمين تحت رِحمة الإسبان الذين لم تعرف الرحمة يوماً إلى قلوبهم سبيلاً، ولتبدأ مرحلة بائسة طويلة مليئة بالأحزان والدموع، متسربلة بالدماء، عبر محاكم التفتيش، وإكراه المسلمين على اعتناق النصرانية، فلاقى أبناء الإسلام أنواعا من التعذيب والنكال وسدل الستار على حكم الإسلام في الأندلس بعد سيادته بضعة قرون استطاع خلالها المسلمون أن ينشؤوا حضارة اعتبرت أرقى ما مر على أوربا من حضارات.

قال موسى بن هارون يرثي إشبيلية بعد سقوطها:

فكم أسارى غدت في القيد موثقةً ... تشكو من الذل أقداماً لها حُطما
وكم صريع رضيع ظل مختطفاً ... عن أمه فهو بالأمواج قد فُطِما
يدعو الوليد أباه وهو في شغل ... عن الجوابِ بدمع سال وانسجما
فكم ترى والهاً فيهم ووالهةً ... لا يرجع الطرف إن حاولته الكلما

وفي الختام نقول: إن المسلمين بالرجوع إلى الإيمان الصادق بالله، والتمسك بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وإيثار الآخرة على متاع الدنيا الزائل، وإعمال أصل الولاء والبراء يستطيعون أن ينهضوا ويمنعوا ضياع أندلس أُخرى، وأخرى بعد أن أضاعوا الكثير، والله المستعان على لمِّ الشعث وجمع الكلمة وتأليف القلوب وما النصر إلا من عند الله.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

رثـــاء الأنـدلـــس

إن لـلأدب أغـراضـا كـثيرة، ومهمات جليلة، فهو يهذب العقل، ويزكِّي الجنان، ويرتقي بالذوق، وهذه ولا شك فوائد عظيمة يكتسبها المشتغل بعلم الأدب، فيعصم نفسه من زلـة الجهل، ويُروِّض أخلاقه، ويُلين طبائعه، وينهض بـالهمم إلى طلب المعالي والأمـور الشـريفة، لـكن أشرف غرض ومهمة للأدب هي أن يواكب هموم أمته، ويعالج قضاياها، فيكون شعره بلسما لجروحها، ونثره حجابا يقيها عبث كل جاحد ومكر كل حاقد، وكِلاهما سدا منيعا أمام كضل فكر وأدب مارد.

إن الأدب الإسلامي هو الذي يستوعب الحياة بكل ما فيها من أفراح وأتراح، من رقي وفتور، من قوة وهوان...كما يشحذ عزائم المستضعفين، وينصف قضايا المظلومين، فطالما كانت القصيدة سلاحا يشهر ضد الأعداء، أبياتها رماح على رؤوسه، وكلماتها سيوف في نحوره، وحروفها علقم يتجرعه زمنا، لذلك يجب على الذين يحملون الأقلام أن يسخروا أقلامهم لخدمة الإسلام وقضاياه.

وفي هذا الباب يقول الدكتور عبد الرحمن العشماوي: ".. لكي يُسْهم الأدب في الدعوة إلى الله ويكون له الأثَر الفعال، لا بد أن يدرك الأدباء أن للأدب في الإسلام غايات تختلف عن غايات الأدب في غيره، ومن خلال تفهّم تلك الغايات والسعي لتحقيقيها يتحول الأدب إلى وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية، فغايات الأدب في الإسلام تسمو بالإنسان وترقى به في مدارج الفضيلة، وتنقي ضميره من شوائب الرذيلة، وتسهم إسهاما فعالا في إقامة المجتمع الإسلامي على أسس ثابتة من الحق والخير بما يفتحه أمامه من أفاق ثقافية واسعة تعمل على إيجاد الحوافز البناءة فيه معنوية كانت أم مادية، وهي تملأ النفوس بالأمل، وتبعد عنه شبح اليأس والقنوط، كما أنه يمكن من خلالها غرس الولاء الصادق للإسلام شرعة وتاريخا، وتأكيد العبودية لله عز وجل، وهو مع ذلك كله لا يغفل الجانب الروحي الوجداني ولا الجانب الإمتاعي الترفيهي الذي تتطلع إليه النفس بطبيعتها البشرية، بل كل ذلك أمر مطلوب، وبالتالي فإن الأدب يحقق للدعوة الإسلامية خدمات لا تستطيع تحقيقها الوسائل المادية الأخرى".

وقصيدة رثاء الأندلس التي بين أيدينا قصيدة يجسد فيها صاحبها أبو البقاء حال المسلمين في تلك الديار التي كانت ترفل بثوب عزِّ الإسلام في النعيم، ولكن سرعان ما خلعت هذا الثوب وانغمست في متاع الدنيا واتبعت الشهوات فتنكبت الصراط وغدت وحدة الصف فرقة وتدابرا مما سهل استباحة حُرماتها على عدوها المتربص بها والذي مازال يفتك بأبنائها ويغتصب أراضيها إلى يوم الناس هذا.

وأبو البقاء هو صالح بن يزيد بن صالح بن شريف الرندي، من شعراء العصر الأندلسي ولد سنة 601هـ/1204م، وتوفي سنة 684هـ/1285م، من أهل (رندة) قرب الجزيرة الخضراء وإليها نسبته وتختلف كنيته بين أبي البقاء وأبي الطيب وهو مشهور في المشرق بأبي البقاء.

وهو أديب شاعر ناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة واتصل ببلاط بني نصر (ابن الأحمر) في غرناطة. وكان يفد عليهم ويمدحهم وينال جوائزهم، وكان يفيد من مجالس علمائها ومن الاختلاط بأدبائها كما كان ينشدهم من شعره أيضاً.

كان بارعا في منظوم الكلام ومنثوره، مجيدا في المديح والغزل والوصف والزهد، قال عنه عبد الملك المراكشي في "الذيل والتكملة": "كان خاتمة الأدباء في الأندلس بارعٍ التصرف في منظوم الكلام ونثره فقيهاً حافظاً فرضياً له مقامات بديعة في أغراض شتى وكلامه نظماً ونثراً مدون" اهـ.

ومن نظمه قصيدة "يا سالب القلب" التي يقول فيها:

يا سالب القلب مني عندما رمقا
لم يُبْق حبك لي صبرا ولا رمقا
لا تسأل اليوم عما كابدت كبدي
ليت الفراق وليت الحب ما خلقا
ما باختياري ذقت الحب ثانية
وإنما جارت الأقدار فاتفقا
وكنت في كلفي الداعي إلي تلفي
مثل الفراش أحب النار فاحترقا
يا من تجلى إلي سري فصيرني
دكا وهز فؤادي عندما صعقا
انظر إلي فإن النفس قد تلفت
رفقا على الروح إن الروح قد زهقا

ولكن شهرته ترجع إلى قصيدته "رثاء الأندلس" التي نظمها بعد ضياع عدد من المدن الأندلسية، وفيها يستنصر أهل العدوة الإفريقية من بني مرين لما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة يتنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملا في أن يبقى له حكمه في غرناطة، والتي يقول في مطلعها:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقصَانُ
فَلاَ يُغَرَّ بِطِيبِ العَيشِ إِنسَانُ

رثـــاء الأنـدلـــس

-لأبي البقاء الرندي-

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا مَا تَمَّ نُقصَانُ … فَلاَ يُغَرَّ بِطِيبِ العَيشِ إِنسَانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدتُها دُوَلٌ … مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتهُ أَزمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لاَ تُبقِي عَلَى أَحَدٍ … وَلاَ يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ الدَّهرُ حَتماً كُلَّ سَابِغَةٍ … إِذَا نَبَتَ مَشرَفِيَّات وَخِرصَانُ
وَيَنتَضِي كُلَّ سَيفٍ لِلفَنَاءِ وَلَو … كَانَ ابنَ ذِي يَزَنٍ وَالغِمد غمدَانُ
أَينَ المُلوكُ ذَوِي التِيجَانِ مِنْ يَمَنٍ … وَأَينَ مِنهُم أَكَالِيلٌ وَتِيجَان
وَأَينَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ … وَأَينَ مَا سَاسَه فِي الفُرسِ سَاسَانُ
وَأَينَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ … وَأَينَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحطَانُ
أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمرٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ … حَتَّى قَضَوا فَكَأَنَّ القَومَ مَا كَانُوا
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلكٍ وَمِن مَلِكٍ … كَمَا حَكَى عَنْ خَيالِ الطَّيفِ وَسْنَانُ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارا وَقَاتِلِهِ … وَأَمَّ كِسرَى فَمَا آوَاهُ إِيوانُ
كَأَنَّمَا الصَعبُ لَمْ يَسهُل لَهُ سَبَبٌ … يَوماً وَلاَ مَلَكَ الدُّنيَا سُلَيمَانُ
فَجَائِعُ الدَّهرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ … وَلِلزمان مَسرّاتٌ وَأَحزَانُ
وَلِلحَوادِثِ سُلوانٌ يُهَوِّنُهَا … وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسلامِ سُلوانُ
دَهَى الجَزِيرَةَ أَمرٌ لاَ عَزَاءَ لَهُ … هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانهَدَّ ثَهلاَنُ
أَصَابَهَا العَينُ فِي الإِسلامِ فارتزأت … حَتَّى خَلَت مِنهُ أَقطَارٌ وَبُلدَانُ
فَاسأل بَلَنسِيَةً مَا شَأنُ مرسِيَةٍ … وَأَينَ شَاطِبَة أم أَينَ جَيّانُ
وَأَينَ قُرطُبَةٌ دَارُ العُلُومِ فَكَم … مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
وَأَينَ حِمصٌ وَمَا تَحوِيهِ مِنْ نُزَهٍ … وَنَهرُهَا العَذبُ فَيَّاضٌ وَمَلآنُ
قَوَاعِدٌ كُنَّ أَركَانَ البِلاَدِ فَمَا … عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبقَ أَركَان
تَبكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيضَاءُ مِنْ أَسَفٍ … كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلفِ هَيمَانُ
عَلَى دِيارٍ مِنَ الإِسلامِ خَالِيَةٌ … قَدْ أَقفَرَت وَلَهَا بِالكُفرِ عُمرَانُ
حَيثُ المَسَاجِدُ قَدْ صَارَت كَنَائِسَ … مَا فِيهِنَّ إِلاَّ نَوَاقِيسٌ وَصلبَانُ
حَتَّى المَحَارِيبُ تَبكِي وَهيَ جَامِدَةٌ … حَتَّى المَنَابِرُ تَبكِي وَهيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهرِ مَوعِظَةٌ … إِنْ كُنتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهرُ يَقظَانُ
وَمَاشِياً مَرِحاً يُلهِيهِ مَوطِنُهُ … أَبَعدَ حِمص تَغُرُّ المَرءَ أَوطَان
تِلكَ المُصِيبَةُ أَنسَت مَا تَقَدَّمَهَا … وَمَا لَهَا مِنْ طِوَالِ الدَهرِ نِسيانُ
يَا أَيُّهَا المَلِكُ البَيضَاءُ رَايَتُه … أدرك بِسَيفِكَ أَهلَ الكُفرِ لاَ كَانُوا
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيلِ ضَامِرَةً … كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَبقِ عُقبَانُ
وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الهِندِ مُرهَفَةً … كَأَنَّهَا فِي ظَلاَمِ النَّقعِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ البَحرِ فِي دَعَةٍ … لَهُم بِأَوطَانِهِم عِزٌّ وَسُلطَانُ
أَعِندَكُم نَبَأٌ مِنْ أَهلِ أَندَلُسٍ … فَقَد سَرَى بِحَدِيثِ القَومِ رُكبَانُ
كَم يَستَغِيثُ بِنَا المُستَضعَفُونَ وَهُم … قَتلَى وَأَسرَى فَمَا يَهتَزُّ إِنسَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الإِسلاَمِ بَينَكُمُ … وَأَنتُم يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخوَانُ
أَلاَ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ … أَمَا عَلَى الخَيرِ أَنصَارٌ وَأَعوَانُ
يَا مَن لِذِلَّةِ قَومٍ بَعدَ عِزَّتِهِم … أَحَالَ حَالَهُم كُفرٌ وَطُغيَانُ
بِالأَمسِ كَانُوا مُلُوكاً فِي مَنَازِلِهِم … وَاليَومَ هُم فِي بِلاَدِ الكُفرِ عُبدَانُ
فَلَو تَرَاهُم حَيَارَى لاَ دَلِيلَ لَهُم … عَلَيهِم مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلوَانُ
وَلَو رَأَيتَ بُكَاهُم عِندَ بَيعِهِمُ … لَهَالَكَ الأَمرُ وَاستَهوَتكَ أَحزَانُ
يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفلٍ حِيلَ بَينَهُمَا … كَمَا تُفَرَّقُ أَروَاحٌ وَأَبدَانُ
وَطِفلَةٍ مِثلِ حُسنِ الشَّمسِ إِذْ … كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرجَانُ
يَقُودُهَا العِلجُ لِلمَكرُوهِ مُكرَهَةً … وَالعَينُ بَاكِيَةٌ وَالقَلبُ حَيرَانُ
لِمِثلِ هَذَا يَبكِي القَلبُ مِنْ كَمَدٍ … إِنْ كَانَ فِي القَلبِ إِسلاَمٌ وَإِيمَانُ

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

كيف نقاوم المد التنصيري داخل مجتمعنا

لا زال الهجوم التنصيري على مجتمعنا المغربي يعمل بشكل مركز وبصمت مريب، فالحملات التنصرية وسط الشباب المغربي بدأت تعطي أكلها، خاصة بين صفوف بعض الحركات الأمازيغية المتطرفة والمعتبرة للإسلام على أنه احتلال جاء ليطمس هويتهم ويمحو لغتهم، فبإطلالة سريعة على ما يجري داخل غرف الدردشة "Paltalk" وعبر المواقع الالكترونية يدرك المطلع مدى قوة المد التنصيري داخل دول شمال إفريقيا عامة والمغرب خاصة، فدعاة الصليب يستغلون لتحقيق دعايتهم كافة الوسائل المكنة والمتاحة مع توفرهم على نفود قوي داخل جل هذه المجتمعات، في مقابل قلة إمكانيات وموارد الجمعيات الإسلامية الغيورة على دينها والمنافحة على هويتها ووطنيتها.

فشبابنا المستهدف حاله لايخفى على أحد، إذ هو واقع بين مطرقة التنصير التي تأمله بفرص العمل والعيش الرغيد -بزعمهم-، وسندان الأمية الدينية وتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

وآخر التطورات، اكتشاف تنظيم سري لمجموعات إنجيلية ومدارس للتلمذة الروحية بمدينة مراكش وغيرها، فقد تم العثور في مطلع هذه السنة على وثائق بشقة أحد الأجانب بإحدى عمارات شارع يعقوب المنصور بمدينة مراكش، خلفها وراءه بعد اختفائه المفاجئ أواسط سنة 2005 تهدف إلى إنشاء مجلس المدينة للمجموعات الانجيلية.

تنص أهداف المجلس المزعوم على فتح قنوات التواصل بين المجموعات الموجودة داخل المدينة، قصد التشاور وحل مشكلات المجتمعين، والصلاة معا من أجل المدينة، ويؤكد على أن لكل مجموعة حرية الانضمام إلى مجالس أخرى، أو ربط علاقات، شريطة عدم الإضرار بباقي المجموعات، وهو ما يؤكد وجود مجالس من ذات النوع بهذه الطائفة الإنجيلية، التي يتزايد انتشارها في صفوف الشباب المغربي.

وتلح مبادئ هذا المجلس على ضرورة قيام كل مجموعة بالتعريف به وبأهدافه، من خلال علاقاتها الخاصة، سواء في المغرب أو خارجه، كما حدد آلية اتخاذ القرارات، التي تهم المدينة، أو تمثيلها داخل الوطن أو خارجه، والتي يجب أن تكون بالإجماع بين أعضاء المجلس، وصلاحية اختيار هؤلاء الممثلين، واقتراح حلول للأزمات الناجمة عن المضايقات، التي يمكن أن تتعرض لها تلك المجموعات.

إن استفحال المد التنصيري داخل المجتمعات الإسلامية لا يقوى ولا يستشري إلا إذا ضعفت الدعوة الإسلامية وقلت إمكانياتها وعجز رجالها عن الدفاع عنها، وإذا كانت الدعوة الإسلامية هي الجبهة الرئيسية لمواجهة التنصير، فإن هذا المخطط الرهيب يتطلب المواجهة الشاملة على المستوى الدعوي والاجتماعي والاقتصادي والصحي والثقافي والتعليمي، وذلك لسد كل الثغرات التي ينفذ منها المنصِّرُون إلى المناطق الإسلامية، فهم يستغلون فقر المسلمين وجهلهم ومرضهم ويقدمون إلى مناطقهم بإمكانيات ضخمة، ويتخذون العمل الاجتماعي ستارا لنشاطهم ويُصْدِرون الصحف والمجلات والكتب والمنشورات، ويمتلكون المحطات الإذاعية والتلفزية التي ينشرون من خلالها سمومهم وأباطيلهم، والإستراتيجية المطلوبة لمواجهة التنصير، لا بد أن ترتكز على النواحي الدعوية والاجتماعية والتعليمية والصحية والثقافية، بحيث يتم وضع مجموعة من الخطط الفرعية التي تشمل هذه النواحي.

لا شك أن المسؤولية كبيرة ومشتركة بين المسلمين، أفرادا وجماعات حكاما وشعوبا للوقوف أمام هذا الزحف المسموم الذي يستهدف كل فرد من أفراد هذه الأمة كبيرها وصغيرها خصوصا في الوقت الراهن حيث تعالت الأصوات الداعية إلى التعايش غير المنضبط بالشرع والانفتاح غير المحدود.

ويمكننا من خلال النقاط التالية رسم تصور مبدئي للخطط التي تمثل في مجموعها الإستراتيجية المطلوبة لمقاومة التنصير.

1- نشر الوعي الديني بين المواطنين، وبيان أخطار التنصير ومخططاته وممارساته وكشف الستار عن زيفه وخداعة وأكاذيبه، حتى لا ينخدع بها الناس.

2- تركيز الدعوة الإسلامية ودعم نشاطها في المناطق القروية التي ينشط فيها التنصير، وذلك قصد إكساب سكان هذه المناطق مناعة تحول دون سقوطهم فريسة سهلة بين مخالب المنصرين.

3- تطوير وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها، بحيث تستغل كافة وسائل الإعلام الحديثة في تبليغ كلمة الحق، والوقوف في وجه الباطل، فقد رأينا أن التنصير يعتمد على الكتب، ومحطات الإذاعة والتلفزة والأقمار الصناعية والمواقع الالكترونية وغيرها من الوسائل لنشر سمومه وأولى بالدعوة الإسلامية أن تعتمد على هذه الوسائل الحديثة، وتسخرها لخدمة الحق الذي تدعو إليه.

4- تكوين وتسخير دعاة مختصين يتقنون كافة اللهجات البربرية لرد شبهات المنصرين.

5- محاربة المدارس التنصيرية والوقوف في وجه انتشارها.

6- تنقية المناهج الحالية في مدارسنا وجامعاتنا من الشوائب وآثار التغريب والغزو الفكري والثقافي، وبالتحديد مقررات مادتي الفرنسية والإنجليزية في التعليم الخاص.

7- الاهتمام بمادة التربية الإسلامية وإعطائها أهمية قصوى، ذلك بتدريسها عبر كافة المستويات التمهيدي والإعدادي والثانوي والجامعي، ورفع معاملاتها ومضاعفة ساعاتها، لا العكس.

8- العناية والاهتمام بالكتاتيب القرآنية ودعمها في كافة المناطق.

9- تضييق الخناق على الصحف والمجلات التنصيرية داخل التراب الوطني.

10- اهتمام وسائل الإعلام برد الشبهات والدعاوى الباطلة الموجهة ضد الإسلام، لا نشرها والدفاع عنها.

الليبرالية...وتأليه الهوى

يدرك من له أدنى إلمام بتصنيفات وتفريعات أصحاب الملل والنحل والأديان، أن الإنسان بمعزل عن هداية الوحي، عبد كل شيء من حجر وشجر وشمس وقمر، وقدَّس الكثيرَ من الحيوان والهوام، وأطاع كل طاغوت من إنسان وجان، إلا أن هناك عبادة أخرى لم تشتهر بين العبادات؛ لأن المعبود فيها غير مشخص ولا ثابت، والعبادة فيها بلا شعائر ولا طقوس، ألا وهي عبادة الذات وتقديس الهوى، وتلك العبادة تختلف عن غيرها، بأن العبودية فيها غير واضحة المعالم؛ فهي مجرد سير أعمى وأهوج في طرق مظلمة بحثاً عن سعادة مفقودة، وغاية غير موجودة.

وهذا الظلام الحالك، هو ما أشار إليه القرآن في قول الله تعالى: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ" الجاثية:23، ففي الآية تنديدٌ بمن يأتمر بأمر هواه، فما رآه حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه، وهذا هو جوهر التأليه، فكل ما يستلزم الطاعة بلا قيود فهو عبودية، والإله المعبود في الآية هو الهوى، من باب التشبيه البليغ أو الحقيقة، والطاعة هنا مستلزمة للمحبة والرغبة، فـ(هواه) بمعنى: مهويه ومرغوبه المطاع.

ولهذا فإن عِلم عابد الهوى لا ينفعه إن كان عنده علم؛ لأن الله ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فلا هادي له ولا مرشد من بعد الله؛ لأنه أغلق على نفسه باب الهداية عندما عزل نفسه بنفسه عنها.

ولم نرَ في الأفكار والمناهج المنحرفة شيئاً ألصق بوصف عبادة الهوى وتقديس الذات مثل الليبرالية المعاصرة من حيث وضعها وتعريفها؛ فهي تعني طلاقة حرية الإنسان وانفلاتها من كل القيود، بحيث لا يكون هناك أي مانع أو رادع من فرد أو أسرة أو جماعة أو دولة أو فكر أو دين أو تقاليد، بل يتصرف المرء وفق ما تمليه النفس وتسوق إليه الرغبة على ألا يتعدى على حرية الآخرين.

صحيح أن أرباب الليبرالية يختلفون فيها بقدر اختلاف أهوائهم، إلا أنهم يتفقون على شيء واحد، وهو وصف موسوعة (لالاند) الفلسفية لها بأنها: «الانفلات المطلق بالترفع فوق كل طبيعة».

وقد عرَّفها المفكر اليهودي (هاليفي) بأنها: «الاستقلال عن العلل الخارجية، فتكون أجناسها: الحرية المادية والحرية المدنية أو السياسية، والحرية النفسية والحرية الميتافيزيقية (الدينية)» وعرفها الفيلسوف الوجودي (جان جاك روسو) بأنها: «الحرية الحقة في أن نطبق القوانين التي اشترعناها نحن لأنفسنا»، وعرفها الفيلسوف (هوبز) «بأنها غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء».

هكذا نرى أن تعريفات الليبرالية تُجمع على أنها انكفاء على النفس مع انفتاح على الهوى؛ بحيث لا يكون الإنسان تابعاً إلا لنفسه، ولا أسيراً إلا لهواه، وهو ما اختصره المفكر الفرنسي (لاشييه) في قوله: «الليبرالية هي الانفلات المطلق».

ولهذا فإننا نعجب كل العجب ممن لديه أدنى معرفة بمعنى العبودية لله في الإسلام؛ كيف يجرؤ أن يقول: (الليبرالية الإسلامية) فيجمع بين متناقضين، وهل يمكن أن ينادي من أسلم بـ «انفلات مطلق» أو «تطبيق للقوانين التي اشترعها الإنسان بنفسه لنفسه»؟! وهل هناك في الإسلام استقلال عن كل المؤثرات الخارجية في الاعتقاد والسياسة والنفس والمادة؟! كيف يمكن أن تنسب كل هذه القبائح للإسلام أو تصبغ به؟ إن الليبراليين الغربيين يحلو لهم كثيراً أن يكسوا هذه الدمامة بأصباغ من الجمال المصطنع، فيفلسفوا اتباع الهوى بـ تحكيم العقل» ويصفوا التمرد على القيم والثوابت بـ «الحرية المطلقة« أو «منع المنع»، ويرددوا دائماً بأنهم ضد الاستبداد السياسي الذي يمثله استبداد الدولة، والاستبداد الاجتماعي الذي تمثله القيم والأعراف، والاستبداد الديني الذي تمثله العقائد.

ولذلك نرى الليبراليين بكل أصنافهم ينفرون من كلمة (ثوابت) ويضيق عَطَنُهم من كلمة (عقيدة) ويفرون كأنهم حمرٌ مستنفرة فرت من قسورة إذا حدثتهم عن ثبات الأحكام، ودوام الحكمة والصلاحية فيها.

وبالنظر إلى أن طبيعة الهوى وسجية أهل الأهواء هي التقلب والتغير، فقد صاحَبَ الغموضُ مصطلحَ (الليبرالية) في مرحل تطورها، إلا في أمر واحد؛ وهو: تحقيق الرفاه والترف والذاتية الفردية إلى الحد الأقصى، وتحول هذا من الإطار الذاتي إلى الإطار الجمعي لدى المجتمعات التي تبنت الأفكار الليبرالية، والتي أسمت نفسها (العالم الحر)، وأصبح هذا العالم (حراً) في أن يحقق الحد الأقصى من الرفاهية والمتاع، سيراً وراء الهوى المتبع والشح المطاع للأفراد، كل ذلك على خلفية المصلحة، المرادفة في كل الأحوال للأنانية المفرطة.

ولهذا وجد الناس البَوْن شاسعاً بين شعارات الليبرالية في عالم المثال، وتطبيقاتها في عالم الواقع؛ فقد غاب العامل الإنساني، وحل محله العامل الطبقي أو العنصري، ولم يعد (الإنسان) هو قضية الليبرالية الأولى إلا بحسب لونه أو جنسه أو مستواه الاقتصادي، فالليبرالية السياسية (الديمقراطية) في الغرب تختلف عن ديمقراطيات البلدان التابعة أو المستعبَدة من الغرب، والليبرالية الاقتصادية (الرأسمالية) في الغرب يجب أن توصِل عندهم إلى نتائج مسيطِرة، وعندنا إلى نتائج مسيطَر عليها, وأما بقية مفردات الليبرالية من ثقافية واجتماعية ودينية، فهي ينبغي أن تمثل عندهم نموذج القدوة والمثال، بينما تمثل لدى مقلديهم أنماط التبعية والذوبان إلى حد الابتذال.

أما الليبرالية الفكرية الثقافية والدينية فهي الأخطر، وتعني عندهم المزيد من هجر الخصوصيات والثوابت عند الأمم، في حين يفيئون هم إلى ما يعدُّونه قِيَماً يجب تصويرها بأحسن صورة، وتصديرها على أوسع نطاق.

وقد حدثت في ذلك تجارب وتجارب، دأب المفتونون بالفكر الليبرالي فيها على أن ينقلوا إلى مجتمعاتنا أدواء الليبرالية، دون أن يستطيعوا أن يداووا بها مرضاً.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا

بقلم: عبد الله زين العابدين

لقد خلق الله الخلق لغاية أسمى وهي تحقيق العبودية وجعل لذلك وسيلة وهي النبوة والرسالة، لتبين للناس الطريقة المثلى لإيقاع تلك الغاية على الوجه المطلوب المرغوب. وتتجلى حكمة اختيار الرسل في دلالة الناس على وظيفة العبودية في مبادئ كثيرة.

نأخذ على سبيل المثال، المبدأ الأول وهو متعارف عليه ومتفق عليه ألا وهو :

جلب النفع ودفع الضر:

كل إنسان بل كل دابة إلا وتسعى إلى تحقيق ما ينفعها أكلا وشربا ولباسا، وتجتهد في تحقيقه ليلا ونهارا، وتضحي بالغالي والنفيس من أجل الحصول عليه، لا فرق في ذلك بين عاقل وغير عاقل وهذه الصفة المشتركة توجب على الإنسان البحث عن التمييز بينه وبين الحيوان، لأن الاشتراك في الأكل والشراب واللباس لا يعطيه أي امتياز أو أحقية التقدم على الحيوانات بل قد يكون هو دونها باعتبار ما جبلت عليه.

وعلى كل الأحوال لا تلام لأن ما جاء على أصله فلا عيب عليه، ألا ترى أن الإنسان إذا فعل فعلا شنيعا يقال في توبيخه وتعزيره وتقريعه "يشبه الحيوان"، وهذه حقيقة مهمة ينبغي التنبه إليها وقد أشار إليها القرآن في قوله تعالى: **(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا).**

فأثبت لهم الشبه في الأفعال بالأنعام ثم تجاوز المشابهة إلى المفاضلة في الضلال وهذا جانب.

فالعاقل هو الذي يبحث عن المفاصلة ويسعى إلى تحقيقها لكن بأي طريقة أو منهجية أو خطة؟

وهذا هو لب الموضوع: "كيف تميز نفسك عن الحيوانات".

إن عقلك قاصر عن جلب النفع لك، ولو قلت هذه مغالطة أحلتك إلى واقع الإنسانية اليوم، إنها اعتمدت على عقولها في تدبير شؤون حياتها واستطاعت أن تهيمن على الكائنات الأخرى، لكن ماذا حققت لنفسها وذاتها ووجودها؟

دمار شامل وحروب طاحنة تأتي على الخضر واليابس، تكتلات ومؤتمرات وتهديدات وجرائم ولصوصية على مستوى القرارات الدولية، إن العقول وظفت في غير ما أريد لها ووجهت نحو ما يزيلها كموجه رئيس على جلب النفع ودفع الضر.

قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (1067-1069/3):

"إن المعقولات ليس لها ضابط يضبطها ولا هي منحصرة في نوع معين فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصون بها فللفرس عقليات، وللهند عقليات، ولليونان عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، بل كل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل بينهم فيها من الاختلاف والتباين ما عند المعتنين به، ونحن نعفيكم من المعقولات واضطرابها، ونحاكمكم إلى المعقولات التي في هذه الأمة، فإنه ما من مدة من المدد وإلا وقد ابتدعت فيها بدع يزعم أربابها أن العقل دل عليها، ونحن نسوق لك الأمر من أوله إلى أن يصل إليك بعون الله وحسن توفيقه، فنقول: لما أظلمت الأرض وبعد عهد أهلها بنور الوحي وتفرقوا في الباطل فرقا وأحزابا، لا يجمعهم جامع ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم، فإنهم فقدوا نور النبوة ورجعوا إلى مجرد العقول، فكانوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه أنه قال: "إني خلقت عبادي حنفاء وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"، فكان أهل العقول كلهم في مقته إلا بقايا متمسكين بالوحي فلم يستفيدوا بعقولهم حين فقدوا نور الوحي إلا عبادة الأوثان أو الصلبان أو النيران أو الكواكب والشمس والقمر أو الحيرة والشك أو السحر أو تعطيل الصانع والكفر به فاستفادوا بها مقت الرب سبحانه لهم وإعراضه عنهم".

هل يستطيع عاقل اليوم أو رجل يشار إليه بالفكر والمعرفة أن ينكر أن استقلالية العقول بتوجيه الحياة الإنسانية أدّى إلى فوضى عارمة واختلال في الموازن والإخلال حتى بأبسط لوازم الفطرة، أي عقل هذا الذي يجيز "للمرأة أن تعقد على كلب" كما حدث في سويسرا، وأي عقل هذا "يجيز للرجل أن يتزوج رجلا آخرا"، وأي عقل هذا الذي يبيح "للمرأة أن تتزوج المرأة" وكل ذلك بدعوى الحريات الشخصية.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى أو يكون لها حد أقصى.

لقد بيَّنا أن الإنسانية اليوم استقلت بعقولها، فلم تجلب نفعا ولم تدفع ضرا، فما هو الحل إذن؟

الحل المبدأ الثاني:

النبوة والرسالة

إننا في حاجة إلى وقفة نتأمل فيها الروح المعنوية ونسمع صرخاتها وهتافاتها داعية إلى إزالة الركام المادي الذي طمس معالمها، نحن في حاجة إلى قيادة لحياتنا جديرة بأن تكون لها الأسبقية في القول والفعل، هي باعثة الروح في حياة الإنسانية هادية إلى النور بعد الظلمة كاملة وتامة وراضية مرضية.

قال تعالى: **(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا).**

لنقف جميعا مع بعض التأملات في هذه الآية ولنجعلها نقطة انطلاق وخط تواصل في حوارنا مع المؤثرين للقائد الأول الذي بيَّنا إفلاسه في قيادة الإنسانية، لا باعتبار أصله لكن باعتبار توظيفه، وأن السيد العقل يأبى في زعمهم أن يوجد له موجه كفيل ليأخذ بزمام الأمور.

فالسيد العقل يأبى أن يؤمر وينهى ويزجر. وهذه أنانية ينبغي معالجتها بما حوته هذه الآية: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا).

خاطب الله النبي صلى اله عليه وسلم على وجه الخصوص بقوله: "وكذلك" أي وكالذي أرسلنا به من قبلك وأوحينا إلى من قبلك أوحينا إليك.

وفيه أن الرسالات السماوية كلها من عند الله سبحانه وتعالى. ووحده المصدر تدل على وحدة الغاية ووحدة الغاية تدل على المصادقة والمطابقة بين الرسالات لتحقيق مبدأ: لا معبود بحق إلا الله وهذه حقيقة لا يعرفها إلا من كان صدره منشرحا بالوحي مستنيرا به. ولا يجهلها إلا من كانت الظلمة شعاره والجهل دثاره ولكي يخرج من هذا الضيق والضنك إلى الرخاء والسعادة فهو محتاج إلى روح تحرك فيه قابلية معرفة الحق والاستقامة عليه وهداية الخلق إليه.

إن الرغبة في السعادة رهينة باطمئنان القلب وانشراح الصدر وهما صفتان متلازمتان ومنبعهما واحد: لا يقبل التعددية ولا يرضى بالثنائية وعبثا يحاول من يجتهد في إزالته من قلوب الناس وفطرهم.

إنه الإسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فنسخ به جميع الأديان والرسالات وهذا حق في كتبهم ذكر وبين أحبارهم ورهبانهم نشر ولكن حقدا وحسدا قد ستر.

إنه لو تعارض شيئان اثنان من حيث كمالهما وإتمامها، فالعاقل يرجح الشيء الناسخ وهو الشرع الأكمل الأتم، والاختيار هنا لا يعني الطعن في المنسوخ لما يضمنه له مصدره من مصداقية، وأقصد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مع الرسالات السابقة، فدين النبي صلى الله عليه وسلم أكمل وأشمل.

ويكفي في الدلالة على هذا أنه استطاع أن يصمد في وجه المتغيرات الدنيوية، والموجهات العدائية، منذ أن وجد ويؤثر في حياة الإنسانية على جميع المستويات والمجالات عقديا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا.

ثم إن مبدأ النقل: يدعو إلى توثيق النصوص التي يرجع إليها في الإلزام والاحتجاج حتى يكون قولك أو فعلك أقوى وأنكى.

وأما إلزام الناس بأفكار صدرت منك وهي نتاج فكرك وعقلك وذكائك،و.... يدفع الناس إلى عدم تعظيمها بل وإيجاد الخرق فيها لأنها صادرت عن نقص لا عن كمال، ومن بشر ليست له ميزة ذاتية عن الذين ألزمهم بفكره، وهي قوانين مصادرها متعددة وليست هذه أولى بالتقدم على الأخرى لأن ضابط الاختيار والاصطفاء مُغيّب معطل وهو الشرع الأكمل الأشمل الأتم وهو مبدأ النقل وهو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

إن ازدراء ما كمل، وتضييق المجال عليه، ثم بعد ذلك يحكم عليه بعدم الصلاحية ليس من شيم العقلاء النبلاء، إنما هو سلوك عدائي وقانون غابوي مع اعتذاري للأسد وكذلك هو مخالف لمبادئ أصحاب دَمَقْرطة الخطابات والمعتقدات ودعاة سياسة الانفتاح على الآخرين.

أليس الإسلام الذي جاء به محمد صلى اله عليه وسلم يدعوا الناس جميعا إلى توحيد الله؟ قال تعالى: **"قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا"**، وقوله تعالى: **"وما أرسلنك إلا رحمة للعلمين"**.

أي انفتاح هذا الذي نريد تحقيقه إذا كانت أبوابنا هي التي تكسر ومقدساتنا هي التي تداس، ومعتقداتنا هي التي يحذر منها بل يحذر منها، وصدق الله العظيم حيث يقول: (وهم ينهون عنه وينئون)، بل يقتل أهلها ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة.

فمبدأ العقل الموظف في غير موضعه مُبجّل ومبدأ النقل الكامل الشامل مُهمل مُعطل.

أي جريمة هذه التي ترتكب في حق اختيار مليار ونصف من أهل الإسلام الذي آثاروه وعززوه ونصروه وآمنوا به وهم في ذلك كله وراء إمامهم وقائدهم النبي المجتبى والرسول المصطفى صلى اله عليه وسلم لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه، فِداه أمي وأبي.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

(الحلقة الثانية)

حاجة الأمة إلى العالم الرباني

رشيد مومن الإدريسي

مرَّ معنا في الحلقة الأولى الحديث عن مكانة العلماء وبيان حاجة الأمة إليهم مع التعريج على بيان حقيقة العالم الرباني، ثم وقفنا عند ذكر بعض صفاته والتي بها يعرف العالم من المتعالم وهي كالآتي:

1- استقامته على منهج أهل السنة والحديث، وهدي السلف الصالح، عقيدة وأخلاقا وسلوكا وعملا وعلما، يوالي أهل السنة ويعادي أهل الأهواء والبدعة، ويجاهد في سبيل الله باللسان والسنان -بشرطه وضابطه- قال ابن القيم رحمه الله: "والجهاد بالحجة واللسان، مقدم على الجهاد بالسيف والسنان"اهـ "شرح القصيدة النونية" الهراس 12/1، وانظر "الجواب الصحيح" لابن تيمية رحمه الله 237/1.

2- شهادة العلماء له أو إجازتهم إياه قال الإمام مالك رحمه الله: "لا ينبغي للرجل يرى نفسه أهلا لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك ولو نهياني لانتهيت" اهـ انظر "حلية الأولياء" 316/6، والفقيه والمتفقه 154/2.

وقال أيضا ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد فإن رأوه أهلا لذلك جلس وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم أني موضع ذلك" الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرحون 21.

3- الرسوخ في العلم والجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، فقد أثنى الله تعالى على أهل الرسوخ في العلم بقوله:" **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**" آل عمران:7.

ومن هنا نجد العالم الرباني متمكنا في العلم متعمقا فيه مبالغا في إتقانه وتحصيله والاستمرار عليه.

قال مالك رحمه الله: **"لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم"** جامع بيان العلم وفضله 95/1.

وقال إبراهيم بن الأشعث رحمه الله: "إذا وجدتم الرجل معروفا بشدة الطلب ومجالسة الرجال فاكتبوا عنه" الرحلة في طلب الحديث 91.

وانظر إلى قول أبي الوفاء ابن عقيل رحمه الله:

"إني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين" المنتظم لابن الجوزي 181/17.

وقد بوَّب الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في جامع بيان العلم وفضله بابا بعنوان: "باب الحظ على استدامة الطلب" 95/1.

4- يخشى الله تعالى ويعمل بمقتضى علمه كما قال تعالى:" **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**" فاطر28. فبالخشية تتهذب نفسه، ويرقُّ قلبه، وتتجه أعماله ومقاصده إلى الله فيثمر له ذلك الورع والأمانة العلمية، حتى أننا لنجد عالما كشعبة بن الحجاج رحمه الله -مثلا- :إذا جاءه المستفتي فإنه يفتيه، ثم يسأل عن اسمه ومنزله ليسهل الوصول إليه إذا ما بدا لشعبة رأي آخر في الفتوى. انظر آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي الحاتم 209.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ليس العلم من كثرة الحديث إنما العلم خشية الله" أخرجه أحمد في الزهد 185، وغيره.

5- زاهد في الدنيا لا تغرُّه المناصب العالية ولا يهوى الرياسة الفانية ولا يركن إلى أصحاب السلطات فيفتيهم بما وافق أهواءهم لنيل الحظوة عندهم.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لو أن أهل العلم صانوا علمهم ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها" جامع بيان العلم 229/1.

6- حَسَنُ الخُلق والسيرة والسلوك صدقا ونصحا ورفقا وأمانة وتواضعا فإن هذا من أجل السمات والصفات وبه ينال العالم الرفعة العالية في الدنيا والآخرة، ومن أبرز معالم حسن الخلق الحلم الذي هو خلق الإسلام. قال الإمام محمد بن عجلان القرشي رحمه الله: "ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إن تكلمَ تكلم بعلم، وإن سكتَ سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه كلامه أشدُّ علي من سكوته"اهـ جامع بيان العلم 126/1.

7- عدم تسرُّعه إلى الفتوى فلا يفتي إلا بما يتيقن صحته وقد كان السلف يتدافعون الفتوى حتى ترجع إلى الأول، قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا وَدَّ أن أخاه كفاه ذلك، ثم قد آل الأمر إلى إقدام أقوام يدَّعون العلم اليوم يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع أهل بدر واستشارهم"اهـ.

فكيف بأدعياء العلم في العصر الحديث؟!

8- يُعرف العالم الرباني كذلك بمواقفه العلمية والعملية وثباته في الفتن المضلة وأخذه بحظ وافر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعايشته لأحوال مصْره وتفاعله مع أحداث عصره عالما بدهاليز أهل الأهواء، وحذرا من كيد الأعداء صرف جل وقته في التعليم والتأليف والإرشاد والتوجيه والإفتاء وفي شؤون الأمة العامة يهتم بها -في محله وبشرطه وقيده- ولذا كثيرا ما نقرأ في تراجم أهل العلم مثل هذه العبارة: " كثير الاهتمام بأمور الناس" انظر شذرات الذهب 378/5، وتاريخ علماء بغداد 104.

فهؤلاء العلماء الربانيون هم الذين قال فيهم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: "لم يتخلفوا في كهوف (القَعدة) الذين صرفوا وجوههم عن آلام أمتهم وقالوا: (هذا مغتسل بارد وشراب) وكأنما عناهم -أي القعدة- شوقي بقوله:

وقد يموت كثير لا تُحِسُّهُم
كأنهم من هَوَان الخَطب ما وُجدوا

بل نزلوا ميدان الكفاح، وساحة التبصير بالدين"اهـ نقلا عن "حرمة أهل العلم".

9- رسوخ القدم في مواطن الشبهات حين تضل الأفهام، وتتزلزل الأقدام، قال ابن القيم رحمه الله: "إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالت بيقينه، ولا قدحت فيه شكا، لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حَرَسُ العلم مغلولة مغلوبة"اهـ مفتاح دار السعادة 140/1.

10- يصدع بالحق -بضابطه وشرطه- ولا يخشى في الله لومة لائم، ولا يداهن أحدا -خاصة في باب العقائد-.

قال ابن الوزير رحمه الله: "ولو أن العلماء -رضي الله عنهم- تركوا الذب عن الحق، خوفا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرا وخافوا حقيرا"اهـ العواصم من القواصم 223/1.

وقال ابن عقيل رحمه الله: "وإرضاء الخلق بالمعتقدات وبال في الآخرة" الآداب الشرعية، لابن مفلح 135/1.

11- الشعور بالعزة، ذلك أن المسلم عزيز قوي الشكيمة، صلب الإرادة، لا يضعف ولا يذل ولا يستخذي أمام مخالفيه في العقيدة والدين.

وهي منحة ربانية أشرك الله فيها المؤمنين مع نفسه المقدسة ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام فقال: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ) المنافقون:8.

والعالم الرباني هو من أجدر الناس بتلك الصفة، ولذا نراه دائما عزيزا، ومقدما عند الناس، عامتهم وخاصتهم.

ورضي الله عن عمر بن الخطاب إذ يقول: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام مهما طلبنا العزة من غيره أذلنا الله" البداية والنهاية لابن كثير 60/7.

12- العالم الرباني: يعظِّم السلف الصالح ويُوقرهم ويُجلهم ويثني عليهم بما هم أهله.

13- ينصاع للحق ويشكر من أسدى إليه نصحا ولو كان أصغر منه سنا أو أقل منه فهما ولا يضيق صدره به.

14- يوضع له القبول في الأرض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض" البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "..ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يُثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى" اهـ الفتاوى 43/11.

وختاما نقول: **ما أحوجنا في زمن أطلت فيه الفتن المضلة برأسها، وتكلم فيه أهل الأهواء بلا استحياء من الله ربًّا وشهرت العلمانية سيفها، وتكالب على الأمة أعدائها، إلى علماء ربانيين صادقين ليأخذوا بيَد هذه الأمة إلى سبل السلام، فإن الأمة أحوج ما تكون إلى الأسوة والقدوة المتمثلة بأخلاق علماء الجيل الأول فتزكو الأمة بهم، ويكون لها التمكين في الأرض وما ذلك على الله بعزيز.**

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

قــــراءة في كتــــاب
"الشفا بتعريف حقوق المصطفى"
للقاضي عياض رحمه الله

رشيد مومن الإدريسي

ترجمة القاضي عياض رحمه الله

الإمام العلامة الحافظ الأوحد القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السَّبتي.

ولد بمدينة "سبتة" المغربية في (15 من شعبان 476هـ= 28 من ديسمبر 1083م)، ودرس بها وأخذ على شيوخها الأعلام، لم يرحل من بلده سبتة إلا داخل القطر المغربي، قدم الأندلس طالبا للعلم، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وابن عتاب، وعن القاضي أبي علي الحسين بن محمد الصدفي، وقد أخذ عن هذا الأخير كثيرا ولازمه، وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه.

وصفه ابن فرحون رحمه الله في "الديباج" بقوله: "كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه تقيا أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيَّامهم وأنسابهم، كاتبا شاعرا مجيدا، ريانا من علم الأدب خطيبا بليغا، صبورا حليما جميل العشرة جوادا سمحا كثير الصدقة، دؤوبا على العمل صلبا في الحق"اهـ.

توفي رحمه الله في (9 من جمادى الآخرة 544هـ=14 من أكتوبر 1149م) بمراكش.

ولعياض رحمه الله مجموع حافل من المؤلفات العظيمة الشأن منها الحديثية والفقهية والتاريخية وغيرها.

كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"

من بديع مصنفات القاضي عياض رحمه الله والذي اشتهر به وعرف، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

قال ابن فرحون رحمه الله: "ابدع فيه كل الابداع وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزيته في السبق إليه بل تشوقوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه وحمله الناس وصارت نسخه شرقا وغربا"اهـ الديباج المذهب 172.

وهذا الكتاب كان جوابا عن سؤال طُرح على القاضي عياض رحمه الله مرارا وتكرارا، فأجاب إلى ذلك رحمه الله كما صرح به عند قوله رحمه الله: "فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم" الشفا11/1.

وكان الدافع -والله أعلم- للسؤال ما أورده الملاحدة من مزاعم ومطاعن على المقام النبوي وقد أشار إلى ذلك القاضي عياض رحمه الله بقوله: "القسم الثالث فيما يستحيل في حقه، وما يجوز عليه شرعا وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه.

وهذا القسم - أكرمك الله - هو سر الكتاب، و لباب ثمرة هذه الأبواب (التي رتب عليها كتابه)، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات، وهو الحاكم على ما بعده، والمنجز من غرض هذا التأليف وعده، وعند التقصي لموعده، والتفصي عن عهدته، يشرق صدر العدو اللعين، ويُشرق قلب المؤمن باليقين، وتملأ أنواره جوانح صدره و يقدر العاقل النبي حق قدره".الشفا14/1.

وقد كشف عن هذا الشيخ عبد الله كنون رحمه الله بقوله عن الكتاب: "وهو في الحقيقة كتاب فريد دحض به مزاعم الملاحدة ومطاعنهم على المقام النبوي الشريف وأتى في ذلك بالعجب العجاب مما لا ينكره إلا أعمى القلب مطموس البصيرة" النبوغ المغربي88/1.

قال بعضهم في مدح كتاب الشفا:

شفى بالشفا ما في النفوس فلم يدع
مقالا لذي قول بجهر ولا سر
فقسم أقساما وبوبها معا
وفصلها مقبولة العلم والذكر
وقدم آيات الكتاب التي بها
سما قدره فوق السماكين والنسر
وثنى بأخبار صحاح شهيرة
كما أتبعت شمس السماوات بالبدر

السماكان: كوكبان ينزل بأحدهما القمر من برج السنبلة. كتاب العين.

افتتح القاضي عياض رحمه الله كتابه بالقسم الأول ضمنه جملة من الأبواب والفصول وهو: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلاً، ثم قال: "لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من فهم، بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام، وخصوصه إياه بفضائل و محاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام"15/1.

أما القسم الثاني فهو: فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام، وتحته جملة من الأبواب من أهمها في فرض الإيمان به وجوب طاعته واتباع سنته، ومما جاء فيه: "وأما وجوب طاعته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته، لأن ذلك مما أتى به، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله" الآية ...

وقال: "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله"الآية، فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره، واجتناب نهيه.

قال المفسرون والأئمة: "طاعة الرسول التزام سنته والتسليم لما جاء به"72.

أما القسم الثالث فهو: فيما يستحيل في حقه، وما يجوز عليه شرعاً، وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه، وقد حرر الكلام عليه في بابين:

الباب الأول: فيما يختص بالأمور الدينية، ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلاً مما جاء فيه قوله: "وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالإختيار وبغير الإختيار...والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار"85/2.

أما الباب الثاني: في أحواله الدنيوية، وما يجوز طروؤه عليه من الأعراض البشرية، وفيه تسعة فصول قال في مقدمته: "قد قدمنا أنه - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء والرسل من البشر، وأن جسمه، وظاهره خالص للبشر، يجوز عليه من الآفات والتغييرات، والآلام والأسقام، وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر، وهذا كله ليس بنقيصة فيه، لأن الشيء إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار: فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تخرجون، وخلق جميع البشر بمدرجة الغير، فقد مرض صلى الله عليه وسلم، واشتكى، وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسه الضعف والكبر ...، وشجَّه الكفار، وكسروا رباعيته، وسقي السم، وسحر، وتداوى، واحتجم، وتنشر وتعوذ، ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم، ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه، فقتلوا قتلاً .....

وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى، وذلك من تمام حكمته، ليظهر شرفهم في هذه المقامات، ويبين أمرهم، و يتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم، وليكون في محنهم تسلية لأممهم، ووفور لأجورهم عند ربهم تماماً على الذي أحسن إليهم.

..وأما بواطنهم فمنزهة غالباً عن ذلك معصومة منه، متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم، وتلقيها الوحي منهم"185/2-159.

وختم المصنف رحمه الله كتابه بقسم رابع: في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه صلى الله عليه وسلم، وقد فصل فيه الكلام على بابين: الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب ونقص، من تعريض، أو نص، ثم قال: اعلم - وفقنا الله وإياك - أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر، ومنكر من القول وزور، أو عيَّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا"188/2.

الباب الثاني: في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته، وذكر استتابته، والصلاة عليه ووراثته، وهي عشرة فصول217/2.

ومما تميز به القاضي عياض رحمه الله في كتابه "الشفا" ما يسمى بـ"الاستطراد التناسبي" حيث تطرق إلى بعض المباحث العلمية التي استدعاها أصل الموضوع من باب الاتمام والتكملة وهي نكات وفرائد وفوائد في ثنايا الكلام، بل قد ختم الكتاب بباب مكمل في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه.

واختصر الكلام فيه في خمسة فصول، وبتمامها ينتجز الكتاب، وتتم الأقسام والأبواب، وتلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة، وفي تاج التراجم درة خطيرة، تزيح كل لَبْس، وتوضح كل تخمين وحدس، وتشفي صدور قوم مؤمنين، وتصدع بالحق، وتعرض عن الجاهلين، وبا لله تعالى - لا إله سواه - أستعين.

فائدة: قال الذهبي في السير عند ترجمة القاضي عياض: "تواليفه نفيسة وأجلها وأشرفها كتاب الشفا لو لا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده وينفع بـ(شفائه) وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا صلوات الله عليه وسلامه غني بمدحه التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم نتشبع بالموضوعات؟ فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد ولكن من لا يعلم معذور"[1]اهـ.

1- فعذر القاضي عياض في حشوه كتابه بتلك الأحاديث والآثار أنه أوردها بالسند وقد قال العلماء: "من أسندك فقد حملك".

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

"أنفلونزا الطيور"

طبيعة انفلونزا الطيور

تنقسم فيروسات الإنفلونزا المسؤولة عن الزكام إلى أنواع مختلفة A و B و C أغلبها هو النوع A الذي ينقسم إلى 15 صنف H و تسعة أصناف، N حيث يتسبب الصنفان H5 و H7 في حالات مرضية تؤدي إلى الوفاة بنسبة 90 إلى 100 بالمائة. و تصيب هذه الأنفلونزا جميع أنواع الطيور تقريبا، وينتقل الفيروس بين الحيوانات عن طريق العدوى بالاتصال المباشر عبر التنفس أو البراز، أو بطريقة غير مباشرة عبر التعرض إلى مواد تحمل الفيروس كالماء والأغذية والأدوات والألبسة التي يستعملها المربون والعمال، وتحمل غالبا الطيور البرية سلالات من الفيروس دون أن تظهر عليها أية أعراض، لكن اتصال هذه الطيور المهاجرة بالدواجن هو السبب في ظهور المرض وانتشار الوباء، ويمكن كذلك أن تنتقل العدوى إلى أنواع حيوانية أخرى كالخنزير.

ويمكن للفيروس من النوع A والصنف (H5 /N1) أن ينتقل من الحيوان إلى الإنسان بواسطة الصنف (H7 /N7)، وتتم العدوى عندما يكون الاتصال بهذه الحيوانات كبيرا وممتدا ومتكررا كما هو الشأن بالنسبة للعاملين في الميدان أو من لهم علاقة به كالمربين والتقنيين والأطباء البيطريين وفرق التطهير.

ولكن لا يوجد دليل على انتقال الصنف H5 /N1 من إنسان لآخر، ولكن يوجد اشتباه في بعض الحالات القليلة، لكن حصول وباء عام يتطلب طفرة في فيروس انفلونزا الطيور تجعل منه فيروسا ممرضا وفي نفس الوقت منتقلا بين البشر أيضا، ويمكن أن يحصل هذا في إنسان عنده إصابة مسبقة بفيروس الأنفلونزا البشرية بعدما يلحق به فيروس انفلونزا الطيور في نفس الشخص، ثم يتم تبادل المادة الوراثية بين النوعين، هنا يكون الاحتمال واردا لتوليد فيروس هجين قادر على إحداث الوباء عند البشر أيضا، ويمكن لهذه التعديلات الوراثية أن تحدث تلقائيا في شخص ما دون أن يكون قد أصيب مسبقا بفيروس الأنفلونزا البشري.

أعراض الأنفلونزا

- ظهور مفاجئ في بضع ساعات أو أقل من ساعة.
- حمى وارتعاش.
- سعال وآلام في الرأس.
- تعب ووجع وتكسُّر في الجسد.

ويكون انتقال الفيروس عبر الهواء، أما العدوى عن طريق استهلاك لحوم الحيوانات المصابة فإن احتمالها ضعيف ومهمل، لأن تأثير الفيروس يندثر مع الحرارة أكثر من 60 درجة لمدة 5 دقائق ولدقيقة واحدة فقط تحت حرارة 100 درجة، ومن جهة أخرى فإن الفيروس حتى في حالة عدم طهو الطعام فإنه يتحطم بواسطة حموضة السائل الهضمي.

ينتقل فيروس الأنفلونزا عموما -لا نتكلم هنا عن فيروس الطيور- بواسطة الرذاذ المصاحب للكلام والسعال والعطاس، ويجب اتخاذ مجموعة من التدابير للحد من انتشار الفيروس:

- العمل على بقاء المصابين بمنازلهم و تتبعهم من طرف مختصين بعين المكان أو نقلهم للمستشفى بالنسبة للحالات الحرجة.
- الحجر الصحي لمدة ستة أيام على الأشخاص الذي كانت لهم اتصالات بالمصابين دون اتخاذ الإجراءات الوقائية.
- استعمال الأقنعة الواقية التي تحول دون انتقال الفيروسات.
- وبما أن الفيروس يمكن أن يكون في الأيدي وغيرها فإن اتخاذ إجراءات الصيانة أمر ضروري، مثل غسل الأيدي بالصابون لمرات متكررة بعد العطاس عليها أو الاتصال بأحد المصابين كما يجب تغطية الفم والأنف عند السعال أو العطاس، مع تجنب البصق على الأرض ومع اتخاذ المناديل لاستعمال واحد فقط، وغسل الأيدي بعد هذه الاستعمالات.
- يجب منع التجمعات في حالة انتشار الوباء العام.
- استعمال المضادات الفيروسية في الأماكن القريبة من الإصابات الأولى بالفيروس مع الحرص على الابتعاد عنها.

أما بالنسبة لأنفلونزا الطيور فإنه يجب اتخاذ التدابير التالية للحد من انتشارها :

- حجر صحي على الحيوانات المصابة أو المجاورة لها ثم قتلها بعد ذلك .
- تطهير الآلات المستعملة لتفادي العدوى في حالة استعمالها في أماكن أخرى .
- الفصل بين الأنواع الحيوانية أثناء تربيتها، كل نوع على حدة بمعزل عن النوع الآخر.
- تشجيع المربين للإعلان عن الحالات المصابة فور معاينتها.

الحمى أو السخونة

السخونة ليست مرضا إنما هي عرض من الأعراض المرضية المختلفة مثلها مثل أي عرض آخر كالقيء أو الإسهال أو المغص، تلك الأعراض التي تظهر عندما يمرض الطفل بمرض ما، وهي من أهم الأعراض المرضية عند الأطفال وأكثرها شيوعا، وتعني تقريبا دائما إصابة الطفل بمرض معدي أي غزو جسمه بميكروبات ضارة، سواء كانت بكتيريا أو فيروسات، وهو ما يسمى طبيا بالانتانات أو الأخماج.

والسخونة سلاح فعال لمقاومة تلك الأمراض، وإن دلت على شيء فإنما تدل على أن مناعة الطفل سليمة، وأنه يقاوم المرض بكفاءة فهي إذن علامة صحية.

والسخونة ليست ضارة بالدرجة التي يتصورها عادة أهل الطفل وتجعلهم ينزعجون أشد الانزعاج، ويسرعون إلى الطبيب لمعرفة سببها وعلاجها بسرعة والتخلص منها بأي وسيلة.

إنما السخونة إذا ما حدثت وكانت بدون أية أعراض أخرى، وخاصة في بدايتها وكانت حالة الطفل غير سيئة، فلا يجب أن تثير القلق بل يجب الانتظار عليها لمدة يوم على الأقل أو حتى يومين، وذلك إلى أن يتضح سببها وتظهر الأعراض الأخرى التي تسهل تشخيصها.

أما إذا حدثت وكانت مصاحبة بأعراض أخرى تشير إلى نوعية الداء ومكان الإصابة، فهنا يجب التدخل واستشارة الطبيب لعمل اللازم، فمثلا إن ظهر مع السخونة قيء وإسهال فذلك يعني إصابة الجهاز الهضمي، وإذا ظهر معها سعال أو هيجان فهذا يشير إلى إصابة الجهاز التنفسي، أما إذا ظهرت وكانت مصاحبة بكثرة التبول مع حرقان أثناءه فذلك يعني إصابة الجهاز البولي.

وهناك بعض المعتقدات الخاطئة عند كثير من الأمهات يجب الإشارة إليها وتفنيدها حتى لا تتسبب في تصرفات غير سليمة ونذكرها فيما يلي:

أولا: الاعتقاد بأن السخونة تؤثر على مخ الطفل، وهذا غير صحيح، طبعا إلا في الحالات التي تكون فيها السخونة ناتجة عن حمى مخية حادة أو إلتهاب سحائي، وفي تلك الحالات النادرة تكون السخونة مصحوبة بآلام شديدة في الرأس وإقياء وتغيب وعي قد يصل إلى السبات أو الغيبوبة.

ثانيا: الإصرار على تنزيل الحرارة بأي طريقة وهذا كذلك ليس ضروريا ولا عاجلا إلا طبعا عند الأطفال الذين يكونون عرضة للتشنجات أو الاختلاجات، إنما الأهم هو البحث عن المرض المسبب لارتفاع الحرارة وعلاجه مع محاولة تخفيض درجة الحرارة قدر الإمكان ليستكن الطفل ويستريح.

ثالثا: التعجل في إعطاء المضادات الحيوية واختيارها بطريقة عشوائية دون استشارة الطبيب، وقبل التأكد من الداء الأصلي وهو ما يسبب أضرارا كثيرة منها إخفاء معالم المرض الهامة التي تساعد على التشخيص السليم ثم جعل الميكروبات المسببة تكتسب مناعة ضد تلك المضادات وتعريض الطفل إلى الآثار الجانبية عن تناوله مضادات قوية لا تفيده بل تؤثر تأثيرا سيئا على أعضائه الهامة كالكبد والكلى.

رابعا: الاعتماد على الحس باليد لمعرفة وجود ارتفاع في الحرارة من عدمه وللحكم على مقدارها وتلك طريقة بدائية ومحفوفة بالأخطار، لأن الجس من الخارج يدل على الحرارة السطحية للجسم فقط ويتأثر بالفرق بين حرارة جلد من يحس وبين حرارة جلد الطفل المريض، ولا يفيد في معرفة الدرجة الحقيقية لحرارة الطفل الداخلية، وهي لا تقاس بدقة إلا باستعمال "الترمومتر" الطبي أو ميزان الحرارة، كما أنه ليس هناك فائدة من مقارنة حرارة المناطق المختلفة من الجسم كجس الرقبة ثم الرأس ثم البطن على أمل تحديد مكان الداء فذلك لا يدل على شيء إطلاقا ويتوقف على عوامل التدفئة والتعرية الخارجية.

خامسا: منع الطفل المريض بالحرارة المرتفعة من تناول أي طعام خاصة الحليب لاعتقاد أهل الطفل المريض بأن ذلك يزيد من حرارته ويضره وقد وجد أن العكس هو الصحيح إذ أن تغذية الطفل المريض ضرورية حتى إذا كان يعاني من حمى معوية، فتغذيته السليمة تزيد من مقاومته للمرض، وتجعل كل أعضائه تقوم بعملها بالطريقة الطبيعية المطلوبة، غير أنه يجب طبعا أن تكون التغذية خفيفة دون دسم ولا فضلات وبكميات بسيطة حسب شهية الطفل ودون إجباره على الأكل وذلك حتى لا يتعب الجهاز الهضمي ويزيد من الإرهاق الذي يعانيه بسبب الحمى.

أشياء يجب تبعد عن الأطفال

يجب على ربة البيت أن تتأكد من التحفظ على الأشياء ووضعها في أماكن مغلقة بقدر الإمكان بعيدا عن متناول يد الأطفال حتى لا يبلعوها أو يصابوا بها أو يقذفوا بها المارة من الشرفات مثل:

الأدوية -المنظفات المنزلية ومبيدات الحشرات- أسلحة المطبخ -علب الكبريت- أدوات الخياطة والدبابيس -العملات المعدنية- قطع الزجاج -أكياس البلاستيك- وخاصة الكبير منها حتى لا يحاول الطفل الدخول فيها فيصاب بالاختناق.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

الـــغـــيرة

الغيرة خلق حميد، وخلة جميلة، وصفة جليلة وهى سمة عباد الله الصالحين وجنده المفلحين، الغيرة سياج منيع لحماية المجتمع من التردي في مهاوي الرذيلة والفاحشة والتبرج والسفور والاختلاط المحرم.

الغيرة قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر، الغيرة مظهر من مظاهر الرجولة الحقة، وهي مؤشر على قوة الإيمان ورسوخه في القلب، نعم .. إن أشرف الناس وأعلاهم قدرا وهمة، أشدهم غيرة على نفسه وأهله، ومن حُرِم الغيرة حُرِم طهر الحياة، ومن حُرِم طهر الحياة فهَو أحط من بَهيمة الأنعام، ورحم الله َابن القيم إذ يقول: **"إذا رحلت الغيرة من القلب ترحلت المحبة بل ترحل الدين كله"**.

الغيرة من صفات الله

- "ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش" صحيح.
- "إن الله تعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه" صحيح.

الغيرة عند البشر

- قوم لا يغارون على حرمات الله بحال من الأحوال كالديوث وأهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق.
- قوم يغارون على ما محارم الله، وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره ٍويجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أموراٍ يحبهٍا الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقاً وديناً ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة.
- قوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فتراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها بل يبغضون الصلوات والعبادات كما قال تعالى فيهم: **"فخلف من بعدهم خلفٍ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً"**.
- قوم يغارون مما يكرهه الله ويحبون ما يحبه الله، وهؤلاء هم أهل الإيمان .

هل هذا من الغيرة ..؟

- من يقر الخبث في أهله بمتاجرة الأعراض والإقرار بذلك بفعل ألوان الفاحشة.
- إشاعة الفاحشة ونشر بواعثها ومثيراتها والتخلي عن الحجاب الشرعي ونبذه وراء الظهور.
- إدخال ما يثير مكامن الشهوة ويخمر العقل ويفسد الروح من آلات وأجهزة وفضائيات تحرف الشباب وتثير الفتيات وتفسد ذوات الخدور .
- اللقاءات الفاضحة من المغنين والمغنيات والماجنين والماجنات في الفضائيات التي لا تخلو من الميوعة وإثارة الشهوات.
- نشر الأغاني الساقطة، والأفلام الآثمة، والقصص الداعرة، والملابس الخالعة في شتى مجالات الاتصال من مسموع ومقروء ومشاهد على الشواطئ والمتنزهات والأسواق والطرقات.

أسباب ضعف الغيرة

- حب المعاصي، قال ابن القيم "فصل: ومن عقوباتها [أي المعاصي] أنها تطفيء من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، فإن الغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كمال يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد".
- تسلط الزوجة وانهيار مبدأ قوامة الرجل في المنزل، قال شيخ الاسلام ابن تيمية زولهذا لما اطلع على مراودتها أي [زوج العزيز] قال "يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين" فلم يعاقبها ولم يفرق بينها وبين يوسف حتى لا تتمكن من مراودته، وأمر يوسف أن لا يذكر ما جرى لأحد محبة منه لإمرأته ولو كان فيه غيرة لعاقب المرأة".
- التساهل في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى ألفت القلوب المنكرات، واستولت عليها الشهوات وحينئذ تلاشت الغيرة عند كثير من الناس إلا ما رحم ربي.

أحمد الغرباوي

اقتل الكلام بالعمل

أترك أعمالك تتحدث عنك واسكت أنت، فلا تلق خطباً تتحدث فيها عن إنجازك وتفوقك وجميل سيرتك فتبتلى بمَكذب وحاسد، وتكون عرضة للسخرية والازدراء، ولكن قدم علماً حسناً جميلاً بديعاً يسر الناظرين، **وأعطِ مثلاً حياً من الأخلاق والسيرة الحسنة والسجايا الحميدة، فهي أعظم شهادة على عظمتك وسموك وعلو منزلتك.**

إن الفاشلين أكثر الناس أقوالاً وأقلهم أعمالاً فهم يتحدثون عن أعمال وهمية وعن منجزات خيالية ليكسبوا رضا الناس وإعجابهم فما يزدادون إلا مقتاً، وليتهم اكتفوا بذلك، بل زادوا الطين بلة، فنشروا الأراجيف والشائعات واستهلكوا أوقاتهم في كثرة الكلام، وتركوا العمل، ولم يقدموا للأمة سوى الكلام، لكن الناجحون يقدمون من النتائج الباهرة الرائعة ما يلفت الأنظار، ويخطف الأضواء، ويدهش العقول.

إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبه من العمل فيكون كالسيارة المسرعة في انحدار بلا سائق؛ تجنح ذات اليمين وذات الشمال، ثم تهوي إلى الأسفل!، فانتبه -أخي القارئ- ودعك من كثرة الكلام بلا طائل، **واقض على أوقات الفراغ التي يحلو فيها القيل والقال، ويعذب فيها الاسترخاء، وهيئ نفسك للقيام بأعمال مثمرة، بدلاً من إرهاق حبالك الصوتية بالكلام، وتعذيب نفسك بتتبع عورات الناس..** قم الآن صلِّ، أو اقرأ، أو سبِّح، أو طالع، أو اكتب، أو رتب مكتبتك، أو أصلح بيتك، أو انفع غيرك حتى تقضي على الفراغ، واقتل الكلام بالعمل.

إن الحياة لا تعترف باللابثين في أماكنهم، القابعين في ثكناتهم، لكنها ترحب بالعالمين العاملين، الصاعدين سلم المجد درجة درجة، الذين يؤدون رسالتهم في الحياة، ويلبون مراد النشأة الأولى، والمطلب الحق، ويجيبون على سؤال فاطرهم (أيحسب الإنسان أن يترك سدى)؟..!

وإذاً فاصمت واعمل واسكت وابذل، فسوف تجد من أصحاب الضمائر الحية من يدعو لك، ويثني عليك، ويشيد بأعمالك الجليلة وخصالك النبيلة، والناس شهداء الله في أرضه، وقل لكل حاسد: الجواب ما تراه دون ما تسمعه.!

عبد الرحمن ياسين

احرص على ما ينفعك

الحرص: تحرك الإرادة، وانبعاث العزيمة، واقتناص الفرص المناسبة، والمسارعة إلى قطف ثمار المنافع، وحصد سنابل الفوائد، وتقييد شوارد المصالح، والحريص العاقل من لا يزال مراقباً للمناسبات، ملاحظاً للأوقات، حتى يهجم ببصيرته على ما يصلح دينه ودنياه.

والحرص على ما ينفع دليل على صدق النية، وقوة العزيمة، وسلامة الطبع واعتدال المزاج، وغزارة الفهم، لأن كل عاقل سوي يجتهد في جلب الخير لنفسه، ودفع الضر عنها، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك) أعظم دليل على بذل الجهد في حصول المطلوب، وترك التخاذل والتكاسل بحجة القدر، فإن هذا دليل القاعدين الفاشلين، بل على العبد أن يحرص غاية الحرص على كسب ما ينفعه من الأقوال والأعمال والرزق الحلال، ويستفرغ الجهد في تحصيل المنفعة الدينية والدنيوية بأحسن السبل الشرعية .

ولا يهمل مصالحه إلا غافل بليد، ولا يفرط في مكاسبه إلا أبله رعديد، فإن الوحي جاء باستثارة الهمم، ومناداة العزائم، وتحريك الإرادات، لتنبعث طالبة فاعلة مؤثرة، تجني الخير، وتجمع الفضائل، وتحصِّل القيم، وحِرصُ العبد على ما ينفعه أول أبواب الفضائل، لأنه مِن عمل النية، ثم يتبعه الحركة الراشدة، والتوثب الصادق، واليقظة التامة، فيسعى جاهداً في إصلاح نيته، وإحسان عمله، وتعمير مستقبله، وحيازة رزقه الحلال، والقيام بمن يعول، وتهذيب نفسه، وتقويم اعوجاجه، ولا تلقى مفرطاً أضاع نصيبه من الخير إلا لتركه الحرص على نفع نفسه، ولا تجد محروماً، من السعادة إلا من أهمل إرادته، وعطل عزيمته، فأنفق عمره في الأماني الكاذبة، والخيالات الفاسدة، والوساوس الخادعة، حتى بدد العمر في سوق الغبن، ومزق ثوب الأيام بكف التفريط، وأحرق شجرة الهمة بنار الخذلان.

إن حرص العبد على ما ينفعه واجب شرعي، وضرورة عقلية، بها يصل العبد إلى مصاف الناجحين، ومراقي الصاعدين في سلم القَبول، ومعارج التفوق، وبها يطوي بروج الفضائل، ويقطع مسارات الخيرات، فهو سباق لكل عمل نبيل، وثاب لكل فعل جميل، مسارع لكل مقصد جليل، في قلبه نور الهمة منقدح، وفي نفسه زند الحرص الصادق محترق، فهنيئاً له سموه وتقدمه وتميزه.

عبد الله الشاوي

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

الحضارة الغربية تسعى إلى تدمير حضارات إنسانية أخرى.. وتخاف الإسلام لأنه البديل

حين أطلق "هنتنجتون" فقاعة "الخطر الإسلامي" على الحضارة الغربية تحول المشهد من عدو شيوعي إلى عدو آخر، فقد كان الاتحاد السوفييتي آيلاً للزوال منذ تحولت الحرب الباردة إلى حرب طويلة المدى أيضاً للإيقاع بدول أخرى كانت تتقارب سياسياً من الاتحاد السوفييتي نفسه، ونقصد بها الدول العربية.. العديد من الشخصيات الفكرية الغربية المتطرفة دينياً فجرت صراع الثقافات والحضارات، وبرغم هذا المنحى الخطير في الطرح الفكري المناوئ للحضارات الأخرى، إلا أن ثمة أصواتاً مهمة ظهرت في الغرب تحاول إعادة طرح الرؤى من منطلق موضوعي وعملي أيضاً.

منهم الدكتور "فرانسوا بورجا" والذي نشرت مجلة "لافيريتي" الفرنسية حواراً معه، ولأهمية الحوار تنشر السبيل ترجمة لقرائها نقلا عن مجلة المجتمع.

- تتحدثون عن النقلة النوعية في الحضارة الغربية، وتعتبرونها نقلة غير إنسانية تسعى إلى القضاء على حضارات أخرى بالتحديد منذ ما تسمونها زبحجةس أحداث سبتمبر 2001م.

- في البداية لا يجب ربط المتغيرات الدولية بأحداث سبتمبر 2001 فقط، فقد وقعت حروب كثيرة قبل هذا التاريخ، أمريكا غزت زكوباس قبل الحادي عشر من سبتمبر وغزت زفيتنامس قبل ذلك التاريخ أيضاً، العالم انساق بكل أسف إلى الرؤية الأمريكية في شرح المتغيرات الدولية، ولهذا نعرف أن الرؤية الأمريكية تسعى إلى خلق "غول" الإسلام السياسي، أي إرعاب الناس بما تسميه "التطرف الإسلامي الديني" وهو المصطلح الذي يستعمله الجميع اليوم كأنه اختراعا جديداً، أحب أن أنبه دائماً إلى خطورة الانسياق خلف المصطلحات الجاهزة التي تتمخض أساساً في إطار النمطية العسكرية التي نعرفها اليوم جيداً، أريد أن أوصل فكرة واحدة وهي أن الحضارة الغربية برغم أهميتها لم تنجح في إقامة التوازن الإنساني الذي يجب إقامته، ولهذا فهي تسعى إلى تدمير حضارات إنسانية أخرى لتمنع أي بديل خارج ما هو متأتٍ الآن.

الغرب لم يصنع حضارة إنسانية بالمعنى الحقيقي والكامل، بل أنتج حضارة صناعية وتكنولوجية على حساب الإنسان، على حساب القيمة، وعلى حساب الخير أيضاً. الخير في النمط الغربي صار مرتبطاً بالبقاء، وبالتوسع نحو مناطق الآخرين للهيمنة عليها والتأثير فيها قصد مسحها، وهذا تفجر عنه "مقاومة" حقيقية لكل الثقافات الرافضة للذوبان والتلاشي.

- كيف ترسمون معالم الصراع الحضاري بالشكل الذي صار عليه اليوم؟ هل هو صراع عسكري أم فكري أم ديني؟

- أعتقد أنه علينا أن نوثق المفاهيم كي نصل إلى مدلولها وإلى شرحها والحضارة في المفهوم الغربي مبنية على الثقافة والدين، وهو المدلول الذي يتفق مع المفهوم الإسلامي بحيث أن البناء الديني يبقى الأهم في كلتا الحالتين، أي بالنسبة للغرب وللمسلمين على حد سواء، ومع ذلك فقد فجر "هنتنجتون" الشطر الآخر من الرؤية الغربية الحالية للصراع حين حدد شكل الصراع في عبارة "عدو الغرب" والذي جسده في الحضارتين الإسلامية والكنفوشيوسية، وهو الطرح الذي لا يخلو من ضغينة ثقافية ودينية على حد سواء، لأنه تأسس على مصطلحات مرادفة له ومن أهمها البعد العسكري لأطروحة "هنتنجتون" لأن تحديد المنافس في فكرة "العدو" يعني أن القضاء على العدو سيكون له أهمية قصوى تترتب عليه "اللا حرب" من وجهة نظر "هنتنجتون" دائماً، بمعنى العودة إلى عهد الاستعباد البشري، عبر إقامة "مستوطنات" يحكمها الغرب المتسلط للسيطرة عليها والتأثير عليها تماماً، هذا هو الخطر الحقيقي في جعل الصراع اليوم قائماً على رؤى سياسية وعسكرية، مع ما يتجسد في الأساس داخل مصطلحات دينية يستعملها "بوش" مثلا للكلام عما قاله له "الرب" ليلة البارحة! وهو تطرف وراديكالية لم تشهد البشرية مثيلاً لهما إلا في القرون الوسطى.

الخوف من الإسلام عند الغرب سببه الشك أساساً في قدرة الحضارة الغربية على البقاء والتأثير دون حرب. الصراع القائم اليوم ليس صراعاً سياسياً تماما، بل صراع ديني أيضاً، لأن الإسلام هو المستهدف مثلما هي مستهدفة الدول الآسيوية الكنفوشيوسية. والغرب لا يريد للدول الإسلامية أن تتطور وتستقر وتستقل أيضاً، إنه يسعى إلى إثارة الحروب لأجل سهولة القضاء عليها وهذا ما يعكسه الصدام الحالي الذي أؤكد شخصياً أنه صراع يدخل في النمط الفكري الديني وبأساليب عسكرية.

- تتكلمون عن التطرف الغربي، فهل ترفضون الاعتراف بالتطرف الإسلامي مثلاً؟

- التطرف الإسلامي في اعتقادي الشخصي صياغة غربية للتطرف ضد الإسلام، أي للحرب على الإسلام، لقد طرحتم السؤال الأول عن أحداث سبتمبر 2001، وأريد أن أقول لكم إن الغرب استطاع بعد تلك الأحداث مثلاً أن يتعرف على الإسلام أكثر مما كان متاحاً في وقت آخر، في فرنسا اعترفت دور النشر الكبيرة أن الكتب الأكثر رواجاً في السنوات الأخيرة هي التي تناولت الإسلام، وهذا أسميه اهتماماً كبيراً بالإسلام ليس في فرنسا بل وفي أوروبا وأمريكا نفسها، أمريكا نفسها اعترفت أن مليون شخص اعتنقوا الإسلام منذ سبتمبر 2001 وهو رقم لم تحسب له الأجهزة الأمنية الأمريكية حساباً، لأنها لم تتوقعه، ولكنه حدث، الناس صاروا أكثر اهتماما بالإسلام، وثمة من اعتنق الإسلام لأنه وجد فيه ما فقده في الحضارة الغربية القائمة على المادة. هل يجب أن نسمي هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام بالمتطرفين أو الإرهابيين؟ لو أن شقيقك وجد في الإسلام ضالته واعتنقه عن وعيٍ واختيار هل ستطلق على شقيقك اسم "إرهابي مسلم"؟ قطعاً لن تفعل ذلك لأنك تعرف أن أخاك كان حراً في قراره، ويجب هنا أن تكون حرية الاختيار نابعة من احترامنا لها، الغرب يدفع المسلمين إلى التعصب حين يسعى بكل الطرق إلى حرمانهم من حقوقهم وفرض عليهم نمطاً غريبا عنهم.

- الإسلام يعتبر العلاقة الجنسية خارج إطارها الشرعي حراماً، أليست هذه هي نفس القناعة التي يؤمن بها المسيحيون المتدينون وتعترف بها الكنيسة عموماً؟

- حتى أولئك الذين ليسوا متدينين في الغرب يعتبرون العلاقات الجنسية غير الشرعية "جريمة" ويرفضونها لأنها تؤذي مجتمعاتهم، لو استطاع الغرب أن يتعامل مع الإسلام كحضارة قائمة بعينها لكان الحوار ممكناً وسهلاً، ولكن المشكلة هي أن الضغط الذي يمارسه الغرب على المسلمين صار كبيراً وفاضحاً إلى درجة أنه فجر رَدَّة فعل قد تسميها أنت تطرفاً وقد أسميه أنا رفضاً للهيمنة غير المسؤولة وغير الواعية التي يمارسها الغرب على دول أخرى بقوة السلاح.

- ألست هنا تحاول تبرير الإرهاب الديني الإسلامي؟

لم يكن الدين إرهاباً إلا في المصطلحات التي تسعى إلى تسويق الحرب نفسها، أنا لست أدافع عن الحرب، بل عن الحقيقة التي يجب البحث عنها والكلام فيها، الإرهاب الديني كما تقوله لا يمكن فصله عن الإرهاب السياسي والفكري والاقتصادي، تجويع قارة يدخل في إطار الإرهاب أيضاً وإطلاق القنابل على مدن آهلة بالسكان يعد إرهاباً، والمساومة على حضارات بعينها إرهاب.

- لماذا يجب استعمال الكلمات التي يستعملها الجميع بجاهزية غير صادقة؟

- سأسالك: لماذا لم يتكلم أحد عن "الإرهاب الديني"، حين فجر خمسة أشخاص أمريكيين من المسيحيين المتطرفين مبنى تجارياً في "أوكلاهوما"؟ ولماذا لم يتكلم أحد عن الإرهاب الديني حين باع أساقفة رسميون قطع أراض فلسطينية لليهود في رام الله والقدس؟ لماذا لا يتكلم أحد عن الإرهاب الديني حين يخرج حاخامات إسرائيل للمطالبة بإبادة الفلسطينيين باسم الرب؟ ولما لا يتكلم أحد عن الإرهاب الديني حين يتكلم "بوش" عن "قناعته أن الرب يؤيده في غزو العراق، لأن الرب يشد على يده ويسانده في حربه على الشيطان!!".

- تدافعون عن المقاومة، فهل تدافعون عن العمليات الانتحارية ضد المدنيين؟

- المقاومة جزء من ديمومة البقاء، الثورة الفرنسية قامت على المقاومة، والاحتلال النازي لباريس أخرجته المقاومة.

- وُجهت إليكم تهمة معاداة السامية. هل تزعجكم هذه التهمة؟

أنا مفكر فرنسي لا أعادي أحداً، بل أحاول العثور على أجوبة مقنعة للأسئلة الكونية التي يجب أن نرد عليها. أنا حين تكلمت في كتبي السابقة عن الإسلام كمشروع حضاري راقٍ وقائم قبل قرون اتُّهمت بأنني أسوّق للإسلام السياسي، ولست خجلاً في القول إن الحرب على الإسلام حرب غير مبررة في هذا الظرف بالذات، أما معاداة السامية فأعتقد أن أكثر من نصف الكرة الأرضية يعارضون ما تفعله "إسرائيل" ضد الفلسطينيين وبهذا يحلو اتهامهم بمعاداة السامية. هذه تهمة غير أخلاقية جاهزة ليس إلا ولا تزعجني ما دمت مقتنعاً بآرائي!

المفكر الفرنسي فرانسوا بورجا

ولد في منطقة الألب سنة 1948م.

تخرج في كلية القانون من جامعة "كرونوفول" الفرنسية.

اشتغل أستاذاً جامعياً في القانون في جامعة قسنطينة الجزائرية وهي الفترة التي جعلته يكتشف التغيرات التي حدثت على المجتمعات الإسلامية وفق كارزماتية التغير السياسي وارتباطه بما يسمى بالتغير نحو سياسة دينية أيضاً.

عاد إلى فرنسا ليصبح مديراً مسؤولاً في الهيئة القومية للبحث العلمي.

تعد كتبه أهم المراجع التي يمكن العودة إليها لقراءة الفكر الغربي الجديد إزاء المجتمع الإسلامي.

من أبرز إصداراته نذكر "الإسلام السياسي" وسوجهاً لوجه مع الإسلاميين" و"المجتمع الإسلامي الجديد" الذي سيصدر عن منشورات "صوت الجنوب" في بداية 2006م.

مجلة المجتمع العدد 1183

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

تسلية وترويح

وصية بخيل

أوصى بخيل ولده، وقد قطع بالإنفاق كبده، فقال يا بني ما هذا الإسراف، يا أيها المِتْلاف، أما تخشى، أما تخاف، ما تؤثر فيك النصائح، ولا تخاف الفضائح، أين من كان يقتصد؟ ويحفظ ماله ويجتهد، كان أحدهم رحمه الله يضع ماله في صُره، لئلا يؤخذ على غِرّة، ثم يُخرج الصرّة، في كل سنة مرّة، فيقرأ عليها المعوذات، وأعوذ بكلمات الله التامات، كان الرغيف يسد رمقه من الصباح إلى الليل، لأنه يعلم أن الفقر أبو الويل، فخلف من بعدهم خلف، فيهم كل مسرف جلف، يأكل في اليوم ثلاث وجبات، ولا يتفكر في مصارع الأموات، ليرتدع من هذه الزلات.

ماتوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا

طرق فقير باب بخيل، وقد أظلم الليل، فلم يفتح البخيل بابه، ولم يرفع حجابه، فصاح الفقير بصوت كسير: أين من كانوا يفرحون إذا رأوا أضيافا، فرد البخيل بقوله: ماتوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا.

إرحل عنا

قال فقير لبخيل أعطني درهماً فقط، فقال هذا غلط، وجور وشطط، لأن الدرهم مع الدرهم، مائة درهم، ثم يزيد إلى ألف، ثم إلى مائة ألف، فتريد أن تهدم مالي، وتجوع عيالي بسؤالي، وافرض أنني أعطيت درهما، فلن ألبث حتى أصير مثلك معدما، فأنت تريد أن تغشنا فارحل عنا، ومن غشّنا فليس منّا.

إن أعاد كلام نفسه سلمت له

كان الباقلاني كثير التطويل في المناظرة، مشهورا بذلك عند الجماعة، وجرى يوما بينه، وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام، ووسع العبارة، وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين، وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب!

فقال الهاروني: اشهدوا عليَّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال!

أضف إلى معلوماتك

- زيت الزيتون يرفع نسبة الكولسترول المفيد في الدم ويخفض نسبة الضار.
- البرقوق والتفاح يستخدمان في علاج الروماتيزم.
- الليمون المغلي يفيد في علاج النحافة.
- الزعتر يعالج آثار لدغة الحشرات.
- زيادة نسبة البوليك في الدم قد تكون بداية الإصابة بالروماتيزم.
- الإجهاد العصبي والتوتر النفسي أحد مسببات الإسهال.
- تصلب الشرايين يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وحدوث الجلطات الدموية.
- نقص الفوسفور في الجسم يسبب إجهاداً ذهنياً ويقلل القدرة على التركيز.
- يعالج ضعف الشهية بالبصل والثوم.
- استهلاك زيت الزيتون بكثرة يسبب الإصابة بالسرطان.
- الإفراط في تناول البرتقال قد يؤدي إلى الإصابة بقرحة المعدة.
- ارتفاع ضغط الدم يؤدي أحيانا إلى حدوث نزيف بالأنف.
- تؤدي زيادة نسبة الكحول في الجسم إلى ضعف نبضات القلب.
- التهاب المفاصل المزمن يصيب الركبتين فقط.
- يعالج الإصبع الداحس بأن يوضع رأس الإصبع في حبة ليمون مفتوحة.
- الكمون ضار للمرأة المرضع.
- السكر يوفر السعرات الحرارية فقط، و لكنه لا يوفر كميات مفيدة من المواد الغذائية، ويسبب تسوس الأسنان.
- الحلويات والشوكولاته: تقلل الرغبة في تناول الفاكهة والخضراوات والحبوب والأطعمة الأخرى الغنية بالمواد المغذية وتسبب مشاكل صحية للأطفال.
- الملح: وهو الشيء الذي نتناول منه الكثير بلا أية فائدة، لذا ينبغي علينا أن لا نتناول أكثر من نصف ملعقة منه يوميا، وهناك ما يكفي من أملاح الصوديوم الطبيعية في اللحم والفواكه والخضار والحبوب.

حكم ومواعظ

البصر في العواقب

من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها، نال خيرها، ونجا من شرها، ومن لم يرَ العواقب غَلَبَ عليه الحسن، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، و بالنصب ما رجا منه الراحه.

متاع الغرور

من تفكر بعواقب الدنيا، أخذ الحذر، و من أيقن بطول الطريق تأهب للسفر، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، و يتحقق ضرر حال ثم يغشاه !و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه.

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى

تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن، أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك، تغتر بصحتك و تنسى دنو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، و أبدى مضجع سواك - قبل الممات - مضجعك، وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك.

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى
و لم تر في الباقين مايصنع الدهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم
مَحَاهَا مجال الريح بعدك و البقر!

الحزر طريق السلامة

من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، و من ادعى الصبر، و كل إلى نفسه ، ورب نظرة لم تُناظر! و أحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان والعين، فإياك إياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكايد.

و كم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب ممن يأنف النظر إليه! و اذكر حمزة مع وحشي .

فتبصر و لا تشم كل برق
رب برق فيه صواعق حين
و اغضض الطرف تسترح من غرام
تكتسي فيه ثوب ذل و شين
فبلاء الفتى موافقة النفس
و بدء الهوى طموح العين

كمال العقل

من علامة كمال العقل: علو الهمة! و الراضي بالدون دنيء!
و لم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

يحبهم و يحبونه

سبحان من سبقت محبته لأحبائه، فمدحهم على ما وهب لهم، واشترى منهم ما أعطاهم، و قدم المتأخر من أوصافهم، لموضع إيثارهم، فباهى بهم في صومهم، و أحب خلوف أفواههم، يا لها من حالة مصونة لا يقدر عليها كل طالب! و لا يبلغ كنه وصفها كل خاطب .

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الإله ويودي المال و الولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له
والإنس و الجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها
من كل أوب إليها وافد يفد؟
حوض هنالك مورود بلا كذب
لا بد من ورده يوماً كما وردوا

من الموت طالبه...

و كان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: و يحك يا يزيد، من ذا يترضى عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون هكذا حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه.

الحب أفضل من الخوف

قال الفضيل بن عياض الحب أفضل من الخوف، ألا ترى إذا كان لك عبدان أحدهما يحبك والآخر يخافك، فالذي يحبك منهما ينصحك شاهدا كنت أو غائبا لحبه إياك، والذي يخافك عسى أن ينصحك إذا شهدت لما يخافك ويغشك إذا غبت ولا ينصحك.

العدد 08 . فاتح صفر 1427 الموافق لـ 01 مارس 2006

الدعاء سلاح المؤمن

عن جابر بن سمرة قال : "شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنهما فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلاتي العشي، لا أخرم منها أركد في الأوليين، وأحذف في الآخريين، فقال عمر، ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فبعث رجالا يسألون عنه بالكوفة فكانوا لا يأتون مسجدا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرا، حتى أتوا مسجدا لبني عبس فقال رجل يُقال له أبو سعدة: أما إذ نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذبا فأعم بصره، وأطل عمره، وعرِّضه للفتن، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا سئل كيف أنت يقول: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد"السير1/113.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل -حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدِّينَوَري، المعروف بالدّقّي- قال هذا الرجل: "كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزّبَدَاني، فركب معي ذات مرة رجل، فمررنا على بعض الطريق، على طريق غير مسلوكة، فقال لي: خذ في هذه، فإنها أقرب. فقلت: لا خبرَةَ لي فيها، فقال: بل هي أقرب، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وَعْر وواد عميق، وفيه قتلى كثير، فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل، فنزل وتشمر، وجمع عليه ثيابه، وسل سكينا معه وقصدني، ففررت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله وقلت: خذ البغل بما عليه، فقال: هو لي، وإنما أريد قتلك، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلِّي ركعتين؟ فقال:[صَلِّ] وعجِّل. فقمت أصلي فَأُرْتِج عليَّ القرآن فلم يَحضرني منه حرف واحد، فبقيت واقفاً متحيرًا وهو يقول: هيه! افرُغ. فأجرى الله على لساني قوله تعالى : **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)**، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي، وبيده حربة، فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده، فخر صريعًا، فتعلقت بالفارس وقلت: بالله مَنْ أنت؟ فقال: أنا رسول [الله] الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالما".تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : {**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**} النمل62.

الـدعــاء

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "الدعاء هو العبادة".صحيح

الدعاء شأنه في الإسلام عظيم، ومكانته فيه سامية، ومنزلته منه عالية، إذ هو أجل العبادات وأعظم الطاعات وأنفع القربات، ولهذا جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبينة لفضله والمنوهة بمكانته وعظم شأنه، والمرغبة فيه والحاثة عليه، كيف لا؟ وهو دليل على إيمان المؤمنين وصفة من صفات عباد الله المتقين كما قال جل شأنه: "**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**" الأنبياء 90.

الدعاء لغة وشرعا

أما في اللغة ففي لسان العرب: "دعا الرجل دَعْوًا ودعاء: ناداه والاسم الدعوة ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته".

وشرعا: عرف بعدة تعاريف من أحسنها قول الإمام ابن القيم رحمه الله: "هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه" بدائع الفوائد 23.

من فضائل الدعاء

للدعاء فضائل عظيمة منها:

1- الدعاء أكرم شيء على الله: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء**"اهـ صحيح الأدب المفرد 549.

2- الدعاء سبب لدفع غضب الله: قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يسأل الله يغضب عليه" صحيح الأدب المفرد 512.

ولقد أحسن من قال:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبُنَيُّ آدم حين يُسْأل يغضب

3- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله: قال عليه الصلاة والسلام: "ولا يرد القدر إلا الدعاء" الصحيحة 154.

قال الشوكاني رحمه الله: "فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد وقد وردت بها أحاديث كثيرة"اهـ تحفة الذاكرين 29.

4- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها: قال بعض العباد: "إنه لتكون لي حاجة إلى الله فأسأله إياها فيفتح علي من مناجاته ومعرفته والتذلل له والتملق بين يديه ما أحب معه أن يؤخر عني القضاء وتدوم لي تلك الحال" مدارج السالكين 229/2.

5- الدعاء سبب لتفريج الهم وزوال الغم وانشراح الصدور وتيسير الأمور:

قال بعضهم:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق
على فما ينفك أن يتفرجا
ورب فتى ضاقت عليه وجوهه
أصاب له في دعوة الله له مخرجا

الدعاء مأمور به موعود عليه بالاستجابة

"**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**" غافر60، "هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعدِ من استكبر عنها فقال : **(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)** أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم" تفسير السعدي.

إذن الدعاء مأمور به موعود عليه بالاستجابة عند توفر شروطه ومن أهمها ما قاله بدر الدين بن جماعة رحمه الله:

قالوا شروط الدعاء المستجاب لنا
عشر بها يبشر الداعي بإفلاح
طهارة وصلاة معهما ندم
وقت خشوع وحسن الظن يا صاح
وحِلٌّ قوت ولا يدعى بمعصية
واسم يناسب مقرون بإلحاح



"**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**" النمل62.

قال ابن كثير في تفسير الآية: "ينبه تعالى أنه هو المدعُوّ عند الشدائد، المرجُوّ عند النوازل، كما قال: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاه) الإسراء:67 ، وقال تعالى: (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون) النحل:53. وهكذا قال هاهنا: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه".

لا تجزع إذا تأخرت إجابة الدعاء

"رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء و تطول المدة، و لا يرى أثراً للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر.

و ما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب، و لقد عرض لي من هذا الجنس. فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت، فلم أر الإجابة، فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده .

فتارة يقول: الكلام واسع والبخل معدوم ، فما فائدة تأخير الجواب؟

فقلت له إخسأ يا لعين، فما أحتاج إلى تقاضي، و لا أرضاك وكيلاً .

ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك و مساكنة وسوسته، فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك القدر في محاربة العدو لكفى في الحكمة.

قالت: فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة.

فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله عز وجل مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة و الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب، من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم: "لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي".

الرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك فربما يكون في مأكولِك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه.

فابحثي عن بعض هذه الأسباب لعلك تقفي بالمقصود...

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح . . .

والسادس: أنه ربما كان فقد ما فقدته سبباً للوقوف على الباب واللجأ وحصوله سبباً للاشتغال به عن المسؤول.

وهذا الظاهر بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ .

فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، فهذا من النعم في طيِّ البلاء.

و إنما البلاء المحض، ما يشغلك عنه، فأما ما يقيمك بين يديه، ففيه جمالك....

و إذا تدبرت هذه الأشياء، تشاغلت بما هو أنفع لك، من حصول ما فاتك من رفع خلل، أو اعتزار من زلل، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب" صيد الخاطر 84-86-58.

وختاما، قال عليه الصلاة والسلام: "الدعاء هو العبادة" صحيح، فالدعاء إذن، عبادة عظيمة جليلة فهي سلاح المؤمنين ومفزع المظلومين وملجأ المستضعفين فالمظلوم -أو المستضعف- إذا انقطعت به الأسباب وأغلقت في وجهه الأبواب ولم يجد من يرفع عنه مظلمته ويعينه على من تسلط عليه وظلمه ثم رفع يديه إلى السماء وبث إلى الجبار العظيم شكواه نصره الله وأعزه وانتقم له ممن ظلمه ولو بعد حين.

قال الشافعي رحمه الله:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن
له أمد وللأمد انقضاء